التحدي بالقرآن بين عجز أهل الفصاحة والبيان وعناد أهل الجحود والنكران

د. عرفة بن طنطاوي*

سلم البحث في ١٤٤٣/١١/١٦هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤٣/١٢/١٧هـ

ملخص البحث:

"التَّحَدِي بِالقُرْآنِ بَيْنَ عَجْزِ أَهْلِ الفَصَاحَةِ وَالبَيَانِ، وَعِنَادِ أَهْلِ الجُحُودِ والنُّكْرَانِ" هو بحثٌ علميٌّ تأصيليٌّ مختصرٌ مفيدٌ، عالج فيه الباحثُ قضيةَ "التحدي" معالجة شمولية، جمَع فيها شتات الموضوع، وقدمه بلغة سهلة المأخذ، واضحة المعاني، بعيدة عن كثرة الاستطرادات، ليكون قريب التناول من طالبيه، معيناً ومسعفاً لراغبيه، وليجد كل قارئ مبتغاه فيه.

Research Summary

"Challenge with the Qur'an between the inability of the people of eloquence and rhetoric, and the stubbornness of the people of ingratitude and denial", It is a useful short and original scientific research, in which the researcher dealt with the issue of "challenge" comprehensively, collected the diaspora of the subject, and presented it in a language that is easy to take, clear meanings, far from many digressions, to be close to its requesters, a helper and a helper for those who want it, and for every reader to find his goal in it.

دِيْبَاجَةُ البَحْثِ:

الْحَمْدُ للَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ تَبْصِرَةً لأولي الْأَلْبَاب وَأَوْدَعَهُ مِنْ فُنُونِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ الْعَجَبَ الْعُجَابَ وَجَعَلَهُ أَجَلَّ الْكُتُبِ قَدْرًا وَأَغْزَرَهَا عِلْمًا وَأَعْذَبَهَا نَظْمًا وَأَبْلَغَهَا فِي الْخِطَابِ، قرآنا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ منزل غير مخلوق، لا شُبْهَةَ فِيهِ وَلا ارْتِيَابَ.وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، رَبُّ الأرباب، الذي عنت لقيوميته الوجوه وَخَضَعَتْ لِعَظَمَتِهِ الرِّقَابُ.وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ مِنْ أَكْرَمِ الشُّعُوبِ وَأَشْرَفِ الشِّعَابِ إِلَى خَيْرِ أُمَّةٍ بِأَفْضَلِ كِتَابٍ الْأَنْجَابِ، صَلاةً وَسَلامًا دَائِمَيْنِ إِلَى يَوْمِ الْمَآبِ.وَبَعْدُ فَإِنَّ الْعِلْمَ بَحْرٌ زَخَّارٌ، لا يُدْرَكُ لَهُ مِنْ قَرَارٍ، وَطَوْدٌ شَامِخٌ لا يُسْلَكُ إِلَى قُنَّتِهِ وَلا يُصَارُ، مَنْ أَرَادَ السَّبِيلَ إِلَى اسْتِقْصَائِهِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى ذَلِكَ وُصُولا، وَمَنْ رَامَ الْوُصُولَ إِلَى إِحْصَائِهِ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلا، كَيْفَ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لِخَلْقِهِ:﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً﴾ (الإسراء:٨٥).وَإِنَّ كِتَابَنَا الْقُرْآنَ لَهُوَ مُفَجِّرُ الْعُلُومِ وَمَنْبَعُهَا وَدَائِرَةُ شَمْسِهَا وَمَطْلَعُهَا، أَوْدَعَ فِيهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عِلْمَ كل شيء، وأبان فيه كُلَّ هَدْيٍ وَغَيٍّ، فَتَرَى كُلَّ ذِي فَنٍّ

---

* عَمِيدُ كُلِّيَّةِ أُصُولِ الدِّينِ والدِرَاسَاتِ الإِسْلَامِيةِ بِجَامِعَةِ خَاتَمِ المُرْسَلِينَ العَالَمِيَّةِ، وَأُسْتَاذُ التَّفْسِيرِ وَعُلُومِ القُرْآنِ لِلدِّرَاسَاتِ العُلْيَا، بِالجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ والمَعْهَدِ العَالِي للأَئِمَّةِ والخُطَبَاءِ- بـ"مِنِيسُوتَا"، وَالرَّئِيسُ العَامُّ لِمَرْكَزِ تَأْصِيلِ عُلُومِ التَّنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيةِ.

مِنْهُ يَسْتَمِدُّ وَعَلَيْهِ يَعْتَمِدُ، فَالْفَقِيهُ يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الْأَحْكَامَ وَيَسْتَخْرِجُ حُكْمَ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ.وَالنَّحْوِيُّ يَبْنِي مِنْهُ قَوَاعِدَ إِعْرَابِهِ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فِي مَعْرِفَةِ خَطَأِ الْقَوْلِ مِنْ صَوَابِهِ.وَالْبَيَانِيُّ يَهْتَدِي بِهِ إِلَى حُسْنِ النِّظَامِ وَيَعْتَبِرُ مَسَالِكَ الْبَلاغَةِ فِي صَوْغِ الْكَلامِ.

وَفِيهِ مِنَ الْقَصَصِ وَالْأَخْبَارِ مَا يُذَكِّرُ أُولِي الْأَبْصَارِ، وَمِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْأَمْثَالِ مَا يَزْدَجِرُ بِهِ أُولُو الْفِكْرِ وَالاعْتِبَارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ عُلُومٍ لا يُقَدِّرُ قَدْرَهَا إِلا مَنْ عَلِمَ حَصْرَهَا، هَذَا مَعَ فَصَاحَةِ لَفْظٍ وَبَلاغَةِ أُسْلُوبٍ تَبْهَرُ الْعُقُولَ وَتَسْلُبُ الْقُلُوبَ وَإِعْجَازُ نَظْمٍ لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلا عَلامُ الْغُيُوبِ.(١)

وإنَّ للقرآن الكريم مكانة لا تدانيها مكانة وقدر لا يدانيه قدر، فهو خاتم الكتب المنزلة، وهو أجَلّها وأفضلها وأعظمها، وإنَّ كانت كلها من عند الله إلا أنَّ القرآن جاء ناسِخاً لِهَا كلها ومُهَيمِنًا عليها، فأجلى اللهُ به عن البصائر ما غشاها من تيه وضلال وعمى، وأخرج الله به البشرية من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن جَهالة وضلال الجاهلية إلى شرف الانتماء للإسلام، وقطع الله به دابِرَ القوم الظالمين، وقد ضمَّنَه تبارك وتعالى جَميعَ ما يُصلِح حياةَ البشر في معاشها ومعادها، كما صانه سبحانه من التحريف والتبديل والتغيير، وتكفَّل سبحانه بحِفظه بذاته العلية، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر: ٩)، وهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يدَيْه ولا من خلفه، ولا يعتريه أي نَّقص، ولا يشوبه أي خطأ ولا خلل، وجَلَّ الله أن يكون كلامه كلام بشَر كما زعم الْمُبطِلون، بل هو كلام الله تعالى حقيقة- حرفًا وصوتًا ولفظًا ومعنىً-، كما قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (يس: ٦٩).

قال الإمام الطحاوي(ت:٣٢١هـ): "وإنّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذَمَّه الله وعَابَهُ وأوعده بسقر حيث قال تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ (المدثر:٢٦)، فلما أوْعَدَ بسَقَر لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ (المدثر:٢٥) عَلِمْنَا وأيْقَنَّا أنه قولَ خالقِ البَشَر ولا يُشْبِه قول البشر".(٢)

فالقرآن الكريم -الذي هو كلامُ الله ووحيُه وتنزيلُه- غيرُ مخلوقٍ، مُعْجِزٌ في نَظْمِه، لا يُشْبِهُه شيءٌ مِن كلام المربوبين، ولا يقدر على مِثْلِه أحَدٌ مِن المخلوقين، "الذي في مَصاحِفِ المسلمين، لم يَفُتْ منه شيءٌ، ولم يَضِعْ بنسيانِ ناسٍ، ولا ضلالِ صحيفةٍ، ولا موتِ قارئ، ولا كتمانِ كاتمٍ، ولم يُحرَّفْ منه شيءٌ، ولم يُزَدْ فيه حرفٌ، ولم يُنْقَصْ منه آخر، كُلُّه حقٌّ مِن عندِ الله،ولو كذَّب به أعداءُ الرُّسُل(٣) مِن

الكُفَّار والمُشْرِكين والمُلْحِدين ومَن سارَ على نهجهم مِن الفلاسفة وأهلِ الأهواء"(٤)

فما تقولون في فضل كتاب أنقذ الله به أمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، دأبهم السلب والنهب، ومعبودهم الأوثان والحجارة، وديدنهم توارث العداوات والأحقاد، لا تعرف من الحق رسمًا.نحلتها ما وجدت عليه آباءها، وما استحسنته أسلافها، من آراء منحرفة، ونحل مخترعة، وملل مبتدعة، فأنزل الله عليهم هذا الكتاب فأنقذهم منها به، وانتشلهم به من أوحالها.ما تقولون في فضل كتاب ختم الله به الكتب، وأنزل على نبى ختم به الأنبياء، وبدين ختمت به الأديان.(٥) ما تقولون فى فضل كتاب فتحت به أمصار، وجثت عنده الركب، ونهل من منهله العلماء، وشرب من مشربه الأدباء، وخشعت لهيمنته الأبصار، وذلت له القلوب، وقام بتلاوته العابدون، والراكعون، والساجدون.ذلكم القرآن الكريم: كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، فلا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، ولا تمسك بشيء يخالفه".(٦)

خطة البحث:

وقد ضمَّن الباحثُ بحثَه خطة بحث مكونة من ثلاثة فصول، وكل فصل يندرج تحته عدد من المباحث، وكل مبحث يندرج تحته عدد من المطالب، وقد بيَّن فيه ما يلي: أهمية موضوع البحث، أهم الدراسات السابقة وأبرزها، أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث، مشكلة البحث وأهدافه، منهج البحث، خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج التي توصلت لها تلك الدراسة المختصرة.

وخطة البحث تشتمل على ثلاثة فصول على النحو التالي:

الفصل الأول: مفهوم التحدي والإعجاز والمعجزة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مفهوم التحدي، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التحدي في اللغة.

المطلب الثاني: مفهوم التحدي في الاصطلاح.

المطلب الثالث: الاحتياج في باب القرآن إلى التحدي.

المبحث الثاني: مفهوم الإعجاز والمعجزة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة.

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة.

المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا –ومفهوم المعجزة عند أهل السنة –خاصة–

الفصل الثاني: التحدي بالقرآن عجز الثقلين عن الإتيان بمثله – وصفة ورود آياته، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التحدي بالقرآن وعجز الثقلين وأهل الفصاحة عن الإتيان بمثله، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: إثبات عجز الثقلين متظاهرين عن الإتيان بمثل القرآن.
المطلب الثاني: عجز أهل الفصاحة والبيان عن تحدي القرآن مع توفر كامل دواعي التحدي.
المبحث الثاني: آيات التحدي في القرآن الكريم- صفتها - وورودها- وفيه خمسة مطالب:
المطلب الأول: أول ملامح التحدي تعرضًا في القرآن.
المطلب الثاني: آيات التحدي في القرآن الكريم.
المطلب الثالث: لماذا لم يأت التحدي بآية من القرآن؟.
المطلب الرابع: تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم.
المطلب الخامس: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به.
المبحث الثالث: التحدي بالقرآن – مراحله – والمقدار المعجز منه، وفيه أربعة مطالب:
المطلب الأول: التفصيل في مراحل التحدي بالقرآن.
المطلب الثاني: مقدار المعجز من القرآن الكريم
المطلب الثالث: بطلان القول بالصَّرْفَةِ.
المطلب الرابع: استمرار التحَدي بالقرآن الكريم.
الفصل الثالث: وجوه إعجاز القرآن الكريم "إجمالا" و"تفصيلا"، وفيه مبحثان:
المبحث الأول: إنزال القرآن الكريم من أعظم دلائل النبوة، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: من دلائل النبوة إنزال القرآن الكريم على نبي أُمِّي.
المطلب الثاني: تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم.
المبحث الثاني: أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم، وفيه مطلبان:
المطلب الأول: أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم "إجمالا"
المطلب الثاني: أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم "تفصيلا"

منهجية البحث:

أولا: أهمية موضوع البحث.

إن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى أنزله على خاتم أنبيائه ورسله نبينا محمد ﷺ، وهو المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته وصحة وسلامة رسالته، وقد تولى الله تعالى حفظه بذاته العلية كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٨)، وقد أنزله الله على أمة صناعتها اللغة وحرفتها البلاغة

وحسن البيان، وشغلها الشاغل التباهى بالفصاحة وإلقاء القصيد وحسن الخطابة والتباهى بالشعر والشعراء.فتحداهم الله سبحانه فى صناعتهم وحرفتهم بكتاب أنزله بلسانهم وحروفهم وألفاظهم ومفردات كلامهم: أن يأتوا بمثله مجتمعين ومتعاونين ومتظاهرين على ذلك فعجزوا.

وتأتى هذه الدراسة لتجلى مشاهد التحدي بالقرآن كما وردت طى آياته لتثبت عجز الأولين والآخرين عن مماثلة كلام رب العالمين، ولتثبت عجز الثقلين مجتمعين على أن يأتوا بمثله، ولتجلي استمرار هذا العجز أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولتثبت بذلك صحة الرسالة وصدق الرسول ﷺ.

ثانيًا: أهم الدراسات السابقة وأبرزها:

- "التحدي بالقرآن الكريم": تأليف الدكتور/ محسن سميح الخالدي، رئيس قسم أصول الدين بجامعة النجاح- نابلس- فلسطين- نسخة مغلقة (PDF) صادرة عن المكتبة الشاملة، برمز المنتج رقم: (gsh٢٦٢٧٨)، قسم: علوم القرآن.

والباحث لم يقف في حدود بحثه الضيق على دراسة علمية تأصيلية غير هذه الدراسة، غير إن هناك دراسات متفرقة تناولت مراحل التحدي وأغلبها في بطون بعض المصنفات.

وصف الدراسة: يقول المؤلف عن بحثه: يهدف هذا البحث إلى الكشف عن عظمة القرآن الكريم، وفخامة شأنه، وعلو قدره، وببيان إعجازه، وأنه حجة على سامعه، وقع التحدي بألفاظه المنظومة بأقصر سورة، وعم الثقلين الإنس والجن، واستمر التحدي والتقريع في العهد المكي والمدني بمثله، ثم بعشر سورٍ مثله، ثم بسوره، وقد كان التحدي مرحليًا متدرجًا.(٧)

وقد قُسِمَ هذا البحثُ إلى تمهيد، وفصلين، وخاتمة، وكان ذلك في إحدى وثلاثين صفحة على النحو التالي: ففي التمهيد: تحدث فيه عن إعجاز القرآن وأنه حجة على سامعه، وأن التحدي به باق إلى يوم القيامة على حد واحد.وأما الفصل الأول: فتناول فيه مقدمات في التحدي، فبين معناه والحاجة إليه، وعن وقوعه للجنِّ، وتكلم عن القدر المعجز الذي وقع به التحدي.وأما الفصل الثاني: فتناول فيه بيان مستويات وآيات التحدي، ثم تكلم عن ترتيبها حسب النزول، ثم تكلم تدرج التحدي وعرض لأقوال العلماء الواردة فيه.

نقد هذه الدراسة:

الباحثون في أمس الحاجة لتضافر جهودهم وتعاونهم، والنظرة النقدية يجب أن تكون من هذا الباب.ومن خلال النظر في هذا البحث تبين ما يلي:

أولا: البحث جيد في بابه مع اختصاره

ثانيًا: لم يأت البحث وافيًا بجميع متعلقات مباحث التحدي

ثالثًا: تعرَّض الباحث لكلام الأشاعرة والكلابية حول قولهم في القرآن فنقض بعض قولهم، وقد ألمح إلماحًا ببعض كلام أهل السنة حول بعض أوصاف القرآن من أنه منزل غير مخلوق وانتصر له وقرر أنه لا يجوز أن يقال: إنه حكاية، أو دلالة، أو عبارة عن كلام الله، وإنما هو كلام الله تعالى، لكنه لم يعرِّف به، وكان لزامًا عليه التعريف بالقرآن عند أهل السنة تعريفًا جامعًا مانعًا، ببيان تعريفهم للقرآن الذين اضطروا لوضعه لما غايرت الأشاعرة والكلابية ومن نحى نحوهم التعريف الصحيح للقرآن انتصارًا لصحة معتقدهم من جهة، ونصحًا لعباده من جهة أخرى.

رابعًا: مبحث التحدي متعلق بإعجاز القرآن، فكان لزامًا على الباحث التعريف بالإعجاز والمعجزة، وبيان تعريف الأشاعرة للمعجزة ونقضه، وذلك لمغايرته لتعريف أهل السنة، ثم الانتصار لأهل السنة ببيان تعريفهم للمعجزة.

وهذه بعض الملحوظات الأساسية، كما أن هناك ملحوظات جوهرية لكنها تذوب في بحر حسنات البحث والباحث.

تنبيه:

١- لقد جاء ذِكْر أهم الملحوظات العقدية نصحًا لعباد الله وتنبيهًا على وجوب العناية بمعتقد أهل السنة والانتصار له وإبرازه في كل ما يكتب ويبحث وينشر.

٢-يجب على الباحثين العناية بالجانب العقدي، كما يجب عليهم العناية التامة بتنقية مصنفات علوم القرآن من كل شوائب العقيدة، وكذلك من التعاريف المغايرة لمعتقد أهل السنة.

٣-كذلك يجب الانتباه للأحاديث الضعيفة والموضوعة في مصنفات علوم القرآن، ولا سيما التي بني عليها أحكام منها، وخاصة فيما يتعلق بالجانب العقدي.

ثالثًا: أسباب ودواعي اختيار موضوع البحث:

١-إبراز موضوع البحث والتأكيد على أنه من أهم مواضيع علوم القرآن لتعلقه بأكبر وأعظم وأجل أوجه إعجاز القرآن ألا وهو التحدي به.

٢-إبراز تعدد أوجه إعجاز القرآن وبيان شموليتها لجميع وجوه الإعجاز.

٣-الرد على مطاعن المشككين والمعاندين والطاعنين في إثبات بقاء التحدي بالقرآن وإظهار إفلاسهم وعجزهم وخوار قواهم أمام عظمة بقاء القرآن ودوام التحدي به

٤-الانتصار لمعتقد أهل السنة في القرآن وما يتعلق به من قضايا ولا سيما في تعريفه وتعريف المعجزة وعرض مثل هذه القضايا ومناقشتها وتأصيلها وتفنيد ما

يضادها.

٥-إبطال القولِ بالصَّرْفَةِ برد مزاعم المعتزلة ومن سار على دربهم ممن نفوا الإعجاز الذاتي عن القرآن

٦-تفنيد المزاعم زائعة الصيت الواردة في ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به وإبطالها

رابعًا: أهداف البحث:

لهذه الدراسة أهداف جليلة متعددة الجوانب، لعل من أبرزها، ما يلي:

١- تأتي هذه الدراسة انتصارًا للقرآن

٢- وتهدف لإبراز أعظم وأجل وجه من وجوه إعجاز-ألا وهو التحدي به-

٣- كما تكشف هذه الدراسة عن مكانة القرآن الكريم ومجده وعظمته وتَجَدُدِ التحدي به منذ نزوله وامتداده لأخر الزمان حتى يُرفعَ القرآنُ فلا يبقى منه حرف في السطور، ولا كلمة في الصدور(٨)

٤- كما تهدف تلك الدراسة وتدلل على إثبات النبوة وصحة الرسالة بإثبات عجز الثقلين عن الإتيان بمثل القرآن ولاسيما وإنه نزل في عرب أقحاح فعجزوا عن مداراته واستبدلوا قبول التحدي بالحروف إلى التقاتل بالسيوف، وأعلنوا أن لقياهم الحتوف أهون من مقارعة التحدي والتصدي له بكلام مثله معروف.

٥- كما تهدف لإبراز الحجة ووضوح المحجة بسماع القرآن لكل من بلغه من المعاندين والجاحدين

٦- وتهدف الدراسة لبيان تعريف القرآن، وتعريف المعجزة عند أهل السنة وأن تعريفهما مغاير لتعريف الأشاعرة.

٧- كما تهدف الدراسة لإبراز آيات التحدي في القرآن الكريم وصفة ورودها وتجلي أول ملامح ورودها تعرضًا في القرآن.

٨- كما تهدف الدراسة لإبراز تعدد مستويات التحدي وتفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به لترد بذلك المزاعم الخاطئة الواردة في هذا الشأن والتي شحنت بها الكثير من مصنفات علوم القرآن.

٩- كما تهدف الدراسة إلى التفصيل في مراحل التحدي بالقرآن وبيان المقدار المعجز من القرآن الكريم.

١٠- كما كان من أبرز أهداف تلك الدراسة إثبات أن إعجاز القرآن ذاتي، وفي ذلك انتصار لمعتقد أهل السنة، وهذا الانتصار يبطل القول بالصَّرْفَة الذي قالت به المعتزلة ومن تبعهم على ذلك من متكلمي الأشاعرة وغيرهم.

١١- ثم ختمت أهداف تلك الدراسة ببيان وجوه إعجاز القرآن الكريم "إجمالا"

و"تفصيلا".

خامسًا: منهج البحث

المنهج التحليلي الاستقرائي:

والمنهج التحليلي الاستقرائي هو الذي يقوم على جمع المعلومات والحقائق من مصادرها الأصلية، ثم يقوم عرضها عرضًا تحليليًا استقرائيًا، ثم يعقبها في خاتمة البحث باستخراج أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة من خلالها.

الفصل الأول

مفهوم التحدي والإعجاز والمعجزة

المبحث الأول: مفهوم التحدي

المطلب الأول

مفهوم التحدي في اللغة

التحدي لغةً بمعنى المباراة والمبارزة.و"تحديت فلانًا إذا بارَيْتَه في فعل ونازَعْتَه الغلبة"،...وهي الحديّا".(٩) قال عمرو بن كلثوم(١٠) في معلقته متحديًا الناس جميعًا بمجد قومه وشرفهم:

حُدَيّا الناسِ كلِّهِمِ جَميعا.....مُقارَعَةً بَنِيهمْ عن بَنينا.(١١)

المطلب الثاني: مفهوم التحدي في الاصطلاح

التحدي اصطلاحًا يتصل اتصالاً وثيقًا بالمعنى اللغوي فهو طلب الإتيان بالمثل على سبيل المنازعة والغلبة ويتحدد المثل تبعًا لما يتحدى به.فالتحدي بالقرآن طلب الإتيان بمثله.(١٢)

المطلب الثالث: الاحتياج في باب القرآن إلى التحدي

القرآن الكريم هو كلام الله تبارك وتعالى الذي أنزله على خاتم أنبيائه ورسله نبينا ﷺ، وهو كتاب محفوظ في السطور ومحفوظ في الصدور، وهو المعجزة الكبرى والآية العظمى الدالة على صدق نبوته وصحة رسالته.والقرآن كتاب محفوظ من التبديل والتغيير والزيادة والنقصان، والله لم يوكل حفظه لأحد من خلقه لا لملك مقرب ولا لنبي مرسل بل تولى حفظه بذاته العلية كما قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ (الحجر:٨) وهذا الكتاب المعجز قد أعجز أساطين اللغة أنفسهم في أن يأتوا بمثله، ولقد تحداهم الله تبارك وتعالى بذلك وهم أهل اللسان العربي الذي نزل بلغتهم القرآن، وفيهم فطاحل الفصحاء ونحارير الشعراء والأدباء، وهو مركب من نفس حروفهم الهجائية، فتحداهم في صناعتهم وحرفتهم التي هم أعلامها وقوادها فعجزوا.وفي نحو يقول ابن كثير(ت: ٧٧٤هـ): "محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم

بكتاب من الله –عز وجل– لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا"([١٣]).

ولعظمة القرآن، ولكونه كتاب منزل خاتم ومهيمن على الكتب السابقة فهو معجز ومحفوظ ومتحدى به، وإنه الكتاب الوحيد الذي تجد بين طيات سوره وآياته: التحدي بصورة صريحة واضحة جلية، وقد احتيج في هذا الباب لبيان التحدي صراحة لعلل عظيمة جليلة.وفي نحو ذلك يعلل الباقلاني (ت:٤٠٣هـ) عن الاحتياج في باب القرآن إلى التحدي فيقول: "وإنما احتيج في باب القرآن إلى التحدي لأن من الناس من لا يعرف كونه معجزًا، فإنما يعرف أولا إعجازه بطريقه؛ لأن الكلام المعجز لا يتميز من غيره بحروفه وصورته، وإنما يحتاج إلى علم وطريق يتوصل به إلى معرفة كونه معجزًا، فإن كان لا يعرف بعضهم إعجازه، فيجب أن يعرف هذا، حتى يمكنه أن يستدل به، ومتى رأى أهل ذلك اللسان قد عجزوا عنه بأجمعهم مع التحدي إليه والتقريع به والتمكين منه صار حينئذ بمنزلة من رأى اليد البيضاء وانقلاب العصى ثعبانا تتلقف ما يأفكون..".([١٤])، وبقول في موضع آخر: "إنما احتيج إلى التحدي لإقامة الحجة وإظهار وجه البرهان".([١٥])

وكما أن في نزول القرآن منجمًا تثبيتًا لقلب النبي ﷺ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلا﴾ (الفرقان:٣٢) فإن في التحدي به كذلك نفس المعنى.وفي نحو ذلك يقول الزرقاني (ت: ١٣٦٧هـ): ولا شك أن المعجزة تشد أزره وترهف عزمه، باعتبارها مؤيدة له ولحزبه، خاذلة لأعدائه ولخصمه ([١٦]).

المبحث الثاني
مفهوم الإعجاز والمعجزة
المطلب الأول: بيان مفهوم الإعجاز في اللغة

الإعجاز لغة: "أعجز: العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء "(١٧) والإعجاز مصدر للفعل (أعجز) وهذا اللفظ يأتي في اللغة بعدة معان: منها: الفوت والسبق، تقول: أعجزه الشيء، أي: فاته، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ (فاطر:٤٤)، "أي: ما كان ليسبقه ويفوته من شيء من الأشياء كائنًا ما كان فيهما"(١٨).ومنها: التضعيف والتوهين، أي: إضعاف الخصم سواء في الأقوال أو الأفعال، قال الرازي: "والعجزُ الضُّعف" (١٩)، وذلك كقوله تعالى في

خبر ندم قابيل: ﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي﴾ (المائدة: ٣١)، أي: أضعفت أن أستر جثة أخي(٢٠)، (قلت): ولذلك أطلق على المرأة المسنة الهرمة لفظ:(عجوز)، لعجزها وضعفها عن الحمل والإنجاب وعن كثير من الأعمال التي كانت تقوم بها في شبابها، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ (هود:٧٢).ومنها: التثبيط والنسبة إلى العجز، تقول: عجَّزه تعجيزًا إذا ثبطه أو نسبه إلى العجز، وذلك كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ (الحج: ٥١)، أي: ظانين ومقدرين أن يعجزوا الله سبحانه ويفوتوه فلا يعذبهم، قاله الزجاج" (٢١) (قلت): بمعنى، أنهم نسبوا إليه سبحانه العجز في بعثهم وحسابهم وعذابهم يوم القيامة.

المطلب الثاني: بيان مفهوم المعجزة في اللغة

المعجزة لغة: المعجزة لغة اسم فاعل من (الإعجاز)، وهي مفرد (المعجزات) وهي: ما أَعجزت الخصمَ، أو: أُعجز بها الخصمُ عند التحدي، والهاء للمبالغة، وسميت بذلك: لعجز الناس وقصورهم عن الإتيان بمثلها، وهي خاصة بالأنبياء، تقول عجز فلان عن قول أو فعل معين، إذا حاوله ولم يستطعه، أو لم يحاوله لاعتقاده عدم استطاعته له.(٢٢).

تنبيه:

سيأتي معنا بيان شرط التحدي في تعريف المعجزة، وأنه من كلام الأشاعرة ومن نحى نحوهم في تعريفها، وهذا الشرط خارج عن تعريف أهل السنة.
المطلب الثالث: بيان مفهوم الإعجاز والمعجزة اصطلاحًا –ومفهوم المعجزة عند أهل السنة –خاصة–

أ– المعجزة اصطلاحًا: للعلماء تعريفات عديدة للمعجزة، منها المقتضب، ومنها ما هو أكثر منه، وما يعنينا هو تعريفها عند أهل هي السنة.

مفهوم المعجزة عند أهل هي السنة:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): هي: "الدلائل والأعلام التي تدل على صدق النبي ﷺ وأنه مرسل من عند الله تعالى، وصفتها التي تمتاز بها هي عجز الإنس والجن عنها، لأنهما المخاطبان بالرسالة"([٢٣]) ومن خلال التعريف نبين ما يلي:

الأولى في تسمية المعجزة:

١– يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وتسميتها آية وبرهانًا أولى من تسميتها معجزة أو أمرًا خارقًا، لأن التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن أولى من غيرها، ولأن التعبير بالاصطلاحات الحادثة قد أوجب غلطًا كثيرًا وإيهامًا حيث

يدخل فيها الحق والباطل".([٢٤])

والمعجزة: قد تسمى إضافة لما مضى ذكره "سلطاناً وبينة"، وأما تسميتها: بـــ"آية" فهو المسمى الغالب استعماله في وحيي التنزيل–الكتاب والسنة–.

الإحداث في تسمية المعجزة:

٢– وأما تسمية "المعجزة" بهذا اللفظ عوضًا عن المسمى الصحيح الثابت في وحيي التنزيل فإنما الذي أحدثه هم مبتدعة أهل الكلام والجدل، وهو كما أخبر شيخ الإسلام بأنه تعريف حادث، وهو بخلاف ما عليه المتقدمون، والحقيقة نقول: إنه ليس كل ما شاع وانتشر استعماله فهو حق وصواب.

٣– الآيات من أجل مقاصدها تصديق وتأييد من أتى بها في دعواه، والتحدي ليس بمقصود في تلك الآيات، وإنما المقصود هو تأييد من ظهرت على يديه تلك الآيات تصديقًا له في دعواه وهو النبي أو الرسول.

٤– خاصية قصد التحدي بالقرآن، وأما القرآن الذي هو الآية العظمى الدالة على صدق نبوة النبي الخاتم ﷺ، فهي آية قصد بها التحدي المقرون بالدلالة على صدق نبوته ﷺ.

٥– دلائل إعجاز القرآن: وأما دلائل إعجاز القرآن فهي دالة كذلك على صدق نبوة من نزل عليه القرآن، وليست من الدلائل والآيات التي قُصِد بها التحدي، كآيات وسور القرآن، كما هو معلوم.والمعجزة: "قد أطلقنا عليها اسم (الآية) كما جاء بذلك القرآن الكريم، وهو اسم شامل لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد".(٢٥)، وهذا التعريف موافق لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي.وفي ذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها: الآيات لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما، فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة".([٢٦])

تسمية المعجزة:

أما عند أهل هي السنة فهي: الآية والدليل والبرهان والسلطان والبينة، وتسميتها آية أكثر استعمالا في وحيي التنزيل.

وأما عند المعتزلة وأهل الكلام فهي: المعجزة، وأما الأشاعرة فقد انطلقوا من مصطلح «المعجزة» المفسر عنهم بخرق العادة، وزادوا قيودًا على هذا التفسير قصدوا بها تمييز المعجزة عن غيرها، وقد اختلفوا في ذلك اختلافًا واسعًا.

وفي محض الكلام عن أقوال متقدمي الأشاعرة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية(ت: ٧٢٨هـ): "هي الفعل الخارق للعادة المقترن بدعوى النبوة والاستدلال به وتحدي النبي من دعاهم أن يأتي بمثله وشرط بعضهم أن يكون مما ينفرد الرب بالقدرة عليه، هذه الأربعة هي التي شرط القاضي أبو بكر(الباقلاني) ومن سلك مسلكه".([٢٧]) وقال د.فضل عباس (ت: ١٤٣٢هـ): "المعجزة في الاصطلاح هي ما يدل على تصديق الله تعالى للمدعي في دعواه الرسالة، أو هي تأييد الله مدعي النبوة بما يؤيد دعواه ليصدقه المرسل إليهم"(٢٨).

وهذا التعريف في نظر الباحث القاصر من أسلم التعاريف، وهو موافق كذلك لتعريف أهل السنة والجماعة المغاير لتعريف الأشاعرة الذين يشترطون في المعجزة التحدي، غير إنه قد سمَّاها معجزة.

وقال الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ): "المعجزة: هي أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، أوهي أمرٌ خارق للعادة، خارج عن حدود الأسباب المعروفة، يخلقهُ الله تعالى على يد مدعى النبوة عند دعواه إياها شاهدًا على صدقه"(٢٩).

(قلت): غير إن معجزة القرآن ليست مخلوقة فالقرآن الكريم كلام الله ﷻ وصفته، ومن الأولى أن يُقال (يُظهره) بدلا عن قوله: (يخلقهُ).والزرقاني أحسن في تعريفه هذا، ولم يذكر فيه التحدي صراحة، ولكن لوح به ولمح، وذكر العجز عن الإتيان بمثله وكونه خارقاً للعادة، والمقصود الأول من المعجزة هو تصديق من أظهر الله المعجزة على يديه في دعواه.وشرط كون الآية خارقة للعادة شرط لا نعلم دليلا يدل عليه، أو أنه نقل عن أحد من السلف.قال شيخنا ابن عثيمين(ت:١٤٢١هـ): "المعجزة عند أهل العلم هي أمر خارق للعادة يظهره الله سبحانه وتعالى على يد الرسول تأييدًا له وقد سماها أكثر أهل العلم بالمعجزات، والأولى أن تسمى بالآيات التي هي العلامات على صدق الرسول وصحة ما جاء به كما سماها الله عز وجل بذلك، وهي أبين وأظهر من المعجزات أي من هذا اللفظ، فالأَولَى أن تسمي معجزات الأنبياء بآيات الأنبياء، والآيات التي جاء بها النبي ﷺ آيات كثيرة، حسية ومعنوية، أرضية وأفقية، أخلاقية وعملية، فهي متنوعة وأعظمها وأبينها كتاب الله عز وجل كما قال الله تعالى:﴿وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(العنكبوت:٥٠-٥١)(٣٠).

وحول شرط كون الآية خارقة للعادة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:

٧٢٨هـ): "وكون الآية خارقة للعادة أو غير خارقة هو وصف لم يصفه القرآن ولا الحديث ولا السلف وقد بينا في غير هذا الموضع أن هذا وصف لا ينضبط وهو عديم التأثير فإن نفس النبوة معتادة للأنبياء خارقة للعادة بالنسبة لغيرهم..."(٣١) ولربما من قال به من أهل السنة كالعلامة الفقيه شيخنا ابن عثيمين(ت: ١٤٢١هـ) يقصد معناه من "جهة اللغة " كما مر معنا قول شيخ الإسلام، والتعريف المعني والمقصود إنما هو التعريف الاصطلاحي كما لا يخفى.

ب- الإعجاز اصطلاحًا: الإعجاز هو: إعجاز الخصوم عن معارضة الأنبياء في معجزاتهم التي أظهرها الله على أيديهم.قال الزرقاني(ت: ١٣٦٧هـ): "إعجاز القرآن مركب إضافي، معناه بحسب أصل اللغة: إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به"(٣٢).وقال الحمصي: "إعجاز القرآن: فهو كونه أمرًا خارقًا للعادة لم يستطع أحدٌ معارضته برغم تصدي الناس لها"(٣٣).وقال مناع القطان(ت: ١٤٢٠هـ): "والمراد بالإعجاز هنا: إظهار صدق النبي ﷺ في دعوى الرسالة بإظهار عجز العرب عن معارضته في معجزته الخالدة وهي القرآن وعجز الأجيال بعدهم"(٣٤).

(قلت): وإعجاز القرآن: كونه خارقًا للعادة والمألوف، أظهره الله على يد نبيه ﷺ، أعجز الإنس والجن عن أن يأتوا ولو بمثل سورة قصيرة من سوره، وقد تصدى البعض لذلك كمسيلمة الكذاب ففشلوا فشلاً ذريعًا.وقد مضى معنا كلام شيخ الإسلام حول شرط كون الآية خارقة للعادة، فلا حاجة لإعادته وتكراره.

الفصل الثاني

التحدي بالقرآن عجز الثقلين عن الإتيان بمثله وصفة ورود آياته

المبحث الأول: التحدي بالقرآن وعجز الثقلين وأهل الفصاحة عن الإتيان بمثله

المطلب الأول

إثبات عجز الثقلين متظاهرين عن الإتيان بمثل القرآن

ورد التحدي التعجيزي الأكبر للثقلين جميعًا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن صراحة في كتاب الله وهذا التحدي يُعد من أعظم مشاهد التحدي بين العجز والإعجاز، بين عجزهم عن الإتيان بمثله، وبين إعجاز القرآن في إثبات عجزهم مقدمًا، وهذا المشهد يُعد من أشد وأعظم وأجل مشاهد ووقائع التحدي لأهل اللغة والفصاحة والبيان وذلك في قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ٨٨).والمعنى: أن الله تبارك وتعالى أمَر نبيَّه ﷺ أن يتحدَّى كفار قريش المعاندينَ أن يأتوا بمثل هذا القرآنِ، فقال: قُلْ لهم – يا مُحمَّدُ: معجِّزًا إياهم ومتحديًا لهم به أنهم

لو تظاهر الثقلين مجتمعين على أن يأتوا بمِثلِ هذا القُرآنِ المنزل من عند الله المُعجزِ بلفظه وأسلوبه المتحدى به، لَمَا استطاعوا إلى ذلك سبيلا ولو تظاهَروا واجتمَعوا وتعاونوا على ذلك جميعًا.

ولا شك في أن هذا النوع من التحدي فيه تعجيز وإياس لهم مهما حاولوا في الإتيان بمثله ولو كانوا مجتمعين متظاهرين متعاونين على ذلك، والعرب الذين نزل عليهم القرآن وعاهدوا التنزيل هم أهل اللغة والفصاحة والبيان.وتعجيزهم مجتمعين على أن يأتوا بمثل القرآن لهو أوضح دليل على صدق الرسول وصدق ما جاء به من عند الله.يقول ابن سعدي (ت:١٣٧٦هـ): "وهذا دليل قاطع، وبرهان ساطع، على صحة ما جاء به الرسول وصدقه، حيث تحدى الله الإنس والجن أن يأتوا بمثله، وأخبر أنهم لا يأتون بمثله، ولو تعاونوا كلهم على ذلك لم يقدروا عليه."([٣٥]) ويقول البغوي (ت:٥١٦هـ): "نَزَلَتْ حِينَ قَالَ الْكُفَّارُ: لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا فَكَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، فَالْقُرْآنُ مُعْجِزٌ فِي النَّظْمِ وَالتَّأْلِيفِ وَالْإِخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ وَهُوَ كَلَامٌ فِي أَعْلَى طَبَقَاتِ الْبَلَاغَةِ لا يُشْبِهُ كَلَامَ الْخَلْقِ لِأَنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ وَلَوْ كَانَ مَخْلُوقًا لاتَوْا بِمِثْلِهِ"([٣٦]).ويقول أبو السعود(ت:٩٨٢هـ): "قل للذين لا يعرفون جلالة قدر التنزيل ولا يفهمون فخامة شأنه الجليل، بل يزعمون أنه من كلام البشر.لئن اجتمعت الإنس والجن أي: اتفقوا.على أن يأتوا بمثل هذا القرآن المنعوت بما لا تدركه العقول من النعوت الجليلة في البلاغة، وحسن النظم، وكمال المعنى، وتخصيص الثقلين بالذكر؛ لأن المنكر لكونه من عند الله تعالى منهما لا من غيرهما، لا لأن غيرهما قادر على المعارضة".([٣٧]) "وكيف يقدر المخلوق من تراب، الناقص من جميع الوجوه، الذي ليس له علم ولا قدرة ولا إرادة ولا مشيئة ولا كلام ولا كمال إلا من ربه، أن يعارض كلام رب الأرض والسماوات، المطلع على سائر الخفيات، الذي له الكمال المطلق، والحمد المطلق، والمجد العظيم، الذي لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر مدادًا، والأشجار كلها أقلام، لنفذ المداد، وفنيت الأقلام، ولم تنفد كلمات الله"([٣٨]).

وفي نحو ذلك يقول مصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ):"أما ألفاظ هذا الكتاب الكريم، فهي كيفما أدرتها وكيفما تأملتَها وأين اعترضتها من مصادرها أو مواردها ومن أي جهة وافقتها؛ فإنك لا تصيب لها في نفسك ما دون اللذة الحاضرة، والحلاوة البادية، والانسجام العذب؛ وتراها تتساير إلى غاية واحدة، وتسنَح في معرض واحد، ولا يمنعها اختلاف حروفها وتباين معانيها وتعدد مواقعها من أن تكون جوهرًا واحدًا في الطبع والصقل، وفي الماء والرونق؛ كأنما تتلامح

بروح حية ما هو إلا أن تتصل بها حتى تمتزج بروحك وتخالطَ إحساسك فلن تكون معها إلا على حالة واحدة.تختلف الألفاظ ولا تراها إلا متفقة، وتفترق ولا تراها إلا مجتمعة، وتذهب في طبقات البيان وتنتقل في منازل البلاغة، وأنت لا تعرف منها إلا روحًا تداخلُك وتُشرِب قلبكَ الروعة، وتنتزع من نفسك حس الاختلاف الذي طالما تدبرت به سائر الكلام، وتصحفت به على البلغاء في ألوان خطابهم وأساليب كلامهم وطبقات نظامهم، مما يعلو ويسفلُ، أو يستمر وينتقض، أو يأتلف ويختلف...إلى غيرها من آثار الطباع الإنسانية فيما يعتريها من نقص أو كلال أو غفلة، ومما هو صورة في الكلام لوجوه اختلافها بالقوة والضعف في أصل الخلقةِ وطريقةِ النشأة...(٣٩)، وعجز الثقلين عن الإتيان بمثل هذا القرآن عجز كامل تام من كل وجه، ذلك لكمال أوجه إعجازه وتمامها وانسجامها.

وإن كان وجه التحدي يتمثل على وجه الخصوص في إعجاز نظمه ولفظه وما يتعلق بهما، والبعض زاد ومعناه، والبعض منع المعنى كالزركشي في البرهان. والذين حصروا التحدي في نظم القرآن وانسجام ألفاظه وترابطه النصي ووحدته الموضوعية وبلاغته وفصاحته دون –معناه–، ذلك لأن معاني القرآن لعظمتها وكثرتها واتساعها لا يمكن لبشر أن يحيطوا بها.وفي نحو ذلك يقول الزركشي(ت: ٧٩٤هـ): "وقال بعض الأئمة: ليس الإعجاز المتحدى به إلا في النظم، لا في المفهوم، لأن المفهوم لم يمكن الإحاطة به، ولا الوقوف على حقيقة المراد منه، فكيف يتصور أن يتحدى بما لا يمكن الوقوف عليه، إذ هو يسع كل شيء، فأي شيء قوبل به أدّعي أنه غير المراد".(٤٠)

ولاشك في تعدد أوجه الإعجاز ولاشك أن التحدي وقع في الإتيان بمثله من كل وجه من جهة العموم، وقيل إن الذي وقع به التحدي هو نظم القرآن وتماسكه النصي وبلاغته وروعة بيانه وانسجام ألفاظه وما يتصل به من بلاغة وبيان وبديع ومعاني كما مر معنا آنفاً.وممن انتصر لهذا القول من المتأخرين محمود شاكر(ت: ١٤١٨هـ) حيث يقول:"وإذا صح أن قليل القرآن وكثيره سواء في هذا الوجه – أي النظم والبيان– ثبت أن ما في القرآن جملة من حقائق الأخبار عن الأمم السالفة، ومن أنباء الغيب، ومن دقائق التشريع، ومن عجائب الدلالات على ما لم يعرفه البشر من أسرار الكون إلا بعد القرون المتطاولة من تنزيله، كل ذلك بمعزل عن الذي طولب به العرب".(٤١) وقد عدد العلماء أوجه الإعجاز حتى أوصلها بعضهم إلى ثمانين وجهًا.بل إن بعضهم قد زاد على ذلك.قال السيوطي(ت:٩١٠هـ) حيث يقول:"وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين، والصواب أنه لا نهاية لوجوه

إعجازه".([٤٢]) وفي تعدد أوجه إعجازه يقول ابن عطية (ت:٥٤٢هـ) حيث يقول: "الذي عليه الجمهور والحذاق، وهو الصحيح في نفسه، أن التحدي وقع بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه".([٤٣])، يقول الطحاوي(ت: ٧٩٢هـ) عن شمولية إعجازه: "وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط ([٤٤])".

المطلب الثاني

عجز أهل الفصاحة والبيان عن تحدى القرآن مع توفر كامل دواعى التحدى

"العرب أهل فصاحة وبيان، عرجوا فى منازل البلاغة، وارتقوا إلى ذُرى الفصاحة، واستوى فى ذلك رجالهم ونساؤهم، ولقد كانوا فى الوصف لا يُبَارَون، يرسمون باللسان ما تعجز عن رسمه الألوان، ويقفون على دقائق الأمور وخبايا النفوس، ويلمسون عن قرب صورة الموصوف، فيحيطون بأبعادها وحدودها من أول وهلة، فتنطبع تلك الصورة بمجرد الرؤية فى حافظتهم، على حالتها التى رأوها عليها.ثم إذا طُلب إليهم وصف، أو سُئلوا نعتًا، راحوا يستحضرون الصورة أمام أعينهم، فيصفون من خلالها، وكأنهم يرون صاحبها رأى العين، أو كأن شخصه ماثل بينهم، لا ينقصه إلا روحه، ولا يفارقه من هيئته إلا بمقدار تباعد الزمان بين التقاط صورته وتخزينها فى الذاكرة، وبين استحضار الصورة وامتثالها".([٤٥])

وقوم هذا وصفهم وهذه مكانتهم من الفصاحة والبيان، وهذا حالهم من اللسان، وبينما هم كذلك إذ بعث الله فيهم نبيًا أميًا يعرفون أميته، فاصطفاه واجتباه وأنزل عليه كتابه الخاتم وجعله معجزته الكبرى الدالة على صدقه وصدق ما جاء به من عند الله، ولقد أيده الله بهذه المعجزة الخالدة الباقية حتى يقيم الحجة على الكافرين والمعاندين فقد أمره ربه سبحانه بتلاوة كلامه عليهم كما قال جل في علاه: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ (التوبة: ٦).يقول الشوكاني(ت:١٢٥٠هـ): "(فأجره): أي كن جارًا له مؤمنًا محاميًا (حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ) منك ويتدبره حق تدبره، ويقف على حقيقة ما تدعو إليه".([٤٦]) "فلولا أن سماعه آية حجة عليه، لم يقف أمره على سماعه، ولا يكون حجة إلا وهو معجزة.هذا وهم الفصحاء اللد، وقد كانوا أحرص شيء على إطفاء نوره وإخفاء أمره، فلو كان في مقدرتهم معارضته لعدلوا إليها قطعًا للحجة، ولم ينقل عن أحد منهم أنه حدث نفسه بشيء من ذلك ولا رامه، بل عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء أخرى، فتارة قالوا: سحر، وتارة قالوا: شعر، وتارة قالوا: أساطير الأولين.كل ذلك من التحير والانقطاع ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم، وسبي ذراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم، وقد كانوا آنف شيء، وأشده حمية فلو علموا أن الإتيان بمثله في قدرتهم

لبادروا إليه، لأنه كان أهون عليهم. قال الجاحظ "المعتزلي":([٤٧]) بعث الله محمدًا ﷺ أكثر ما كانت العرب شاعرًا وخطيبًا، وأحكم ما كانت لغة وأشد ما كانت عدة، فدعا أقصاها وأدناها إلى توحيد الله وتصديق رسالته، فدعاهم بالحجة فلما قطع العذر، وأزال الشبهة وصار الذي يمنعهم من الإقرار الهوى والحمية، دون الجهل والحيرة، حملهم على حظهم بالسيف، فنصب لهم الحرب ونصبوا له، وقتل من عليتهم وأعلامهم وأعمامهم وبني أعمامهم، وهو في ذلك يحتج عليهم بالقرآن، ويدعوهم صباحًا ومساءً إلى أن يعارضوه إن كان كاذبًا بسورة واحدة، أو بآيات يسيرة. فكلما ازداد تحديًا لهم بها وتقريعًا لعجزهم عنها تكشف من نقصهم ما كان مستورًا، وظهر منه ما كان خفيًا، فحين لم يجدوا حيلة ولا حجة قالوا له: أنت تعرف من أخبار الأمم ما لا نعرف، فلذلك يمكنك ما لا يمكننا قال: فهاتوها مفتريات فلم يرم ذلك خطيب ولا طمع فيه شاعر، ولو طمع فيه لتكلفه، ولو تكلفه لظهر ذلك ولو ظهر لوجد من يستجيده ويحامي عليه، ويكايد فيه ويزعم أنه قد عارض وقابل وناقض. فدل ذلك العاقل على عجز القوم مع كثرة كلامهم واستحالة لغتهم، وسهولة ذلك عليهم، وكثرة شعرائهم، وكثرة من هجاه منهم، وعارض شعراء أصحابه، وخطباء أمته لأن سورة واحدة وآيات يسيرة كانت أنقض لقوله، وأفسد لأمره، وأبلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق أتباعه من بذل النفوس، والخروج من الأوطان، وإنفاق الأموال. وهذا من جليل التدبير الذي لا يخفى على من هو دون قريش والعرب في الرأي والعقل بطبقات، ولهم القصيد العجيب، والرجز الفاخر، والخطب الطوال البليغة، والقصار الموجزة، ولهم الأسجاع والمزدوج واللفظ المنثور.ثم يتحدى به أقصاهم بعد أن أظهر عجز أدناهم، فمحال -أكرمك الله- أن يجتمع هؤلاء كلهم على الغلط في الأمر الظاهر، والخطأ المكشوف البين مع التقريع بالنقص، والتوقيف على العجز، وهم أشد الخلق أنفة، وأكثرهم مفاخرة، والكلام سيد عملهم، وقد احتاجوا إليه والحاجة تبعث على الحيلة في الأمر الغامض، فكيف بالظاهر، وكما أنه محال أن يطبقوا ثلاثًا وعشرين سنة على الغلط في الأمر الجليل المنفعة، فكذلك محال أن يتركوه، وهم يعرفونه ويجدون السبيل إليه وهم يبذلون أكثر".([٤٨]).

قال أبو جعفر النحاس (ت: ٣٣٨هـ): "تحدّاهم النبي ﷺ بذلك فعجزوا عنه من جهات: إحداها: وصف القرآن الذي أعجزهم أن يأتوا بمثله، وذلك أن الرجل منهم كان يسمع السورة أو الآية الطويلة ثم يسمع بعدها سمراً أو حديثًا فيتباين ما بين ذينك من إعجاز التأليف أنه لا يوجد في كلام أحد من المخلوقين أمر ونهي ووعظ

وتنبيه وخبر وتوبيخ وغير ذلك ثم يكون كلّه متألفاً، ومن إعجازه أنــه لا يتغيّــر، وليس كلام أحد من المخلوقين يطول إلا تغيّر بتناقض أو رداءة، ومــن إعجــازه الحذف والاختصار والإيجاز ودلالة اللفظ اليسير على المعنى الكثير، وإن كان في كلام العرب الحذف والاختصار والإيجاز فإنّ في القرآن من ذلك ما هــو معجــز، نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿وَإِمَّا تَخافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيانَةً فَانْبذْ إِلَيْهِمْ عَلى سَواءٍ﴾ ﴿الأنفال: ٥٨﴾ أي إذا كان بينك وبين قوم عهد فخفت منهم وأردت أن تنقض العهــد فانبــذ إليهم عهدهم أو قل قد نبذت إليكم عهدكم أي قد رميت به لتكون أنت وهــم علــى سواء في العلم فإنك إن لم تفعل ذلك ونقضت عهدهم كانت خيانــة، والله لا يحــبّ الخائنين".([٤٩]) وابن كثير (ت:٧٧٤هــ) بعد أن رجح أن المراد بقوله: ﴿لا يَــأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(الإسراء من آية:٨٨) هو القرآن قال: "لأن التَّحَدِّيَ عَامٌّ لَهُمْ كُلِّهُمْ، مَعَ أَنَّهُــمْ أَفْصَحُ الْأُمَمِ، وَقَدْ تَحَدَّاهُمْ بِهَذَا فِي مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ مَرَّاتٍ عَدِيدَة، مَعَ شِدَّةِ عَدَاوَتِهِمْ لَــهُ وَبُغْضِهِمْ لِدِينِهِ، وَمَعَ هَذَا عَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُــوا وَلَــنْ تَفْعَلُوا﴾(البقرة من آية:٢٤) "وَلَنْ": لنَفِي التَّأْبِيدِ أَيْ: وَلَنْ تَفْعَلُوا ذَلِــكَ أَبَــدًا.وَهَــذِهِ -أَيْضًا- مُعْجِزَةٌ أُخْرَى، وَهُوَ أَنَّهُ أَخْبَرَ أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ لا يُعَارَضُ بِمِثْلِهِ أَبَدًا وَكَذَلِكَ وَقَعَ الْأَمْرُ، لَمْ يُعَارَضْ مِنْ لَدُنْهُ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلا يُمْكِنُ، وَأَنَّى يَتَأَتَّى ذَلِكَ لِأَحَــدٍ، وَالْقُرْآنُ كَلامُ اللَّهِ خَالِقِ كُــلِّ شَــيْءٍ؟([٥٠]) وَكَيْــفَ يُــشْبِهُ كَــلامُ الْخَــالِقِ كَــلامَ الْمَخْلُوقِينَ؟!".([٥١]) وإن كان التحدي باقيًا إلى قيام الساعة، فإن العرب وهــم أهــل الفصاحة والبيان عجزوا مع توفر كامل دواعي التحدي.

وفي نحو هذا الصدد يقول مناع القطان(ت:١٤٢٠هــ): "وعجز العرب عن معارضة القرآن مع توفر الدواعي عجز للغة العربية في ريعان شبابها، وعنفــوان قوتها والإعجاز لسائر الأمم على مر العصور ظل ولا يزال في موقــف التحــدي شامخ الأنف، فأسرار الكون التي يكشف عنها العلم الحديث مــا هــي إلا مظــاهر للحقائق العليا التي ينطوي عليها سر هذا الوجود في خالقه ومدبره، وهذا ما أجمله القرآن، أو أشار إليه فصار القرآن بهذا معجزًا للإنسانية كافة".([٥٢]) يقــول وحيــد الدين خان (ت:١٤٤٢هــ): "إنه أغرب تحدٍ في التاريخ وأكثره إثارة للدهشة..فلــم يجرؤ احدٌ من الكُتّاب في التاريخ الإنساني -وهو بكامل عقلــه- أن يقــدِّم تحــدِّيًا مماثلا..فليس هناك مؤلِّف يمكنُ أن يضعَ كتابًا يستحيلُ على الآخَرين أن يكتُبوا مثلَه أو خيرًا منه..فمن الممكن إصدارُ مثيلٍ من أي عمل إنساني في أي مجال، ولكــن حين يُدّعىَ أن هناك كلامًا ليس في إمكان البشر الإتيان بمثله..ثم تخفــق البــشرية على مدى التاريخ..في مواجهة هذا التحدي..حينئذ يثبت تلقائيًا أنــه كــلام غيــر

إنساني..وأنها كلمات صدرت عن صميم المنبع الإلهي([٥٣])، وكل ما يخرج من المنبع الإلهي لا يمكن مواجهة تحدياته".([٥٤]) يقول الدكتور/ محمد عبد الله دراز (ت: ١٣٧٨هـ) في كتابه " النبأ العظيم": "ارجع إلى أهل الذكر من أدباء عصرك فاسألهم: هل يقدرون أن يأتوا بمثله؟ فإن قالوا لك: "لو نشاء لقلنا مثل هذا"، فقل: "هاتوا برهانكم! ".وإن قالوا: "لا طاقة لنا به"، فقل: أي شيء أكبر من العجز، شهادة على الإعجاز؟، ثم ارجع إلى التاريخ فاسأله: ما بال القرون الأولى؟ ينبئك التاريخ أن أحدًا لم يرفع رأسه أمام القرآن في عصر من أعصاره، وأن بضعة النفر الذين أنغضوا رءوسهم إليه؛ باءوا بالخزي والهوان، وسحب الدهر على آثارهم ذيل النسيان. أجل، لقد سجل التاريخ هذا العجز على أهل اللغة أنفسهم في عصر نزول القرآن، وما أدراك ما عصر نزول القرآن؟ هو أزهى عصور البيان العربي، وأرقى أدوار التهذيب اللغوي، وهل بلغت المجامع اللغوية في أمة من الأمم ما بلغته الأمة العربية في ذلك العصر من العناية بلغتها، حتى أدركت هذه اللغة أشدها؛ وتم لهم بقدر الطاقة البشرية تهذيب كلماتها وأساليبها؟..وما هذه الجموع المحشودة في الصحراء، وما هذه المنابر المرفوعة هنا وهناك؟ إنها أسواق العرب تعرض فيها أنفس بضائعهم، وأجود صناعاتهم؛ وما هي إلا بضاعة الكلام، وصناعة الشعر والخطابة، يتبارَوْن في عرضها ونقدها، واختيار أحسنها والمفاخرة بها، ويتنافسون فيها أشد التنافس، يستوي في ذلك رجالهم ونساؤهم، وما أمر حسان والخنساء وغيرهما بخافٍ على متأدب. فما هو إلا أن نزل القرآن..وإذا الأسواق قد انفضت، إلا منه، وإذا الأندية قد صَفِرت، إلا عنه، فما قدر أحد منهم أن يُباريَه أو يجاريَه، أو يقترح فيه إبدال كلمة بكلمة، أو حذف كلمة أو زيادة كلمة، أو تقديم واحدة وتأخير أخرى؛ ذلك على أنه لم يسد عليهم باب العارضة، بل فتحه على مصراعيه، بل دعاهم إليه أفرادًا أو جماعات.بل تحداهم وكرر عليهم ذلك التحدي في صور شتى، متهكمًا بهم متنزلا معهم إلى الأخف فالأخف: فدعاهم أول مرة أن يجيئوا بمثله، ثم دعاهم أن يأتوا بعشر سور مثله، ثم أن يأتوا بسورة واحدة مثله، ثم بسورة واحدة من مثله([٥٥])، وأباح لهم في كل مرة أن يستعينوا بمن شاءوا ومن استطاعوا، ثم رماهم، والعالَم كله بالعجز، في غير مواربة؛ فقال: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)، وقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة: ٢٤)، فانظر أي إلهاب، وأي استفزاز! لقد أجهز عليهم بالحكم البات المؤبد في قوله: (وَلَنْ تَفْعَلُوا) ثم هددهم بالنار، ثم سواهم بالأحجار،

فلعمري لو كان فيهم لسان يتحرك لما صمتوا عن منافسته، وهم الأعداء الألداء، وأباة الضيم الأعزاء، وقد أصاب منهم موضعَ عزتهم وفخارهم، ولكنهم لم يجدوا ثغرة ينفذون منها إلى معارضته، ولا سُلَّمًا يصعدون به إلى مزاحمته، بل وجدوا أنفسهم منه أمام طود شامخ، فما اسطاعوا أن يظهروه، وما استطاعوا له نقبًا...حتى إذا استيأسوا من قدرتهم، واستيقنوا عجزهم؛ ما كان جوابهم إلا أن ركبوا مَتْن الحُتوف، واستنطقوا السيوف بدل الحروف.وتلك هي الحيلة التي يلجأ إليها كل مغلوب في الحجة والبرهان، وكل من لا يستطيع دفعًا عن نفسه بالقلم واللسان.

ومضى عصر (نزول) القرآن، والتحدي: قائمٌ، فليجرب كل امرئ نفسه، وجاء العصر الذي بعده، وفي البادية وأطرافها أقوام لم تختلط أنسابهم، ولم تنحرف ألسنتهم، ولم تتغير سليقتهم، وفيهم من لو استطاعوا أن يأتوا هذا الدين من أساسه، ويثبتوا أنهم قادرون من أمر القرآن على ما عجز عنه أوائلهم، لفعلوا، ولكنهم ذلت أعناقهم له خاضعين، وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل. ثم مضت تلك القرون، وورث هذه اللغة عن أهلها الوارثون، غير إن هؤلاء الذين جاءوا من بعد، كانوا أشد عجزًا، وأقل طمعًا في هذا المطلب العزيز.فكانت شهادتهم على أنفسهم مضافة إلى شهادة التاريخ على أسلافهم، وكان برهان الإعجاز قائمًا أمامهم من طريقين: وجداني وبرهاني..ولا يزال هذا دأب الناس والقرآن ؛ حتى يرث الله الأرض ومن عليها".([٥٦])

المبحث الثاني
آيات التحدي في القرآن الكريم صفتها وورودها
المطلب الأول: أول ملامح التحدي تعرضًا في القرآن

يريد الباحث هنا أن يعرج على ملامح التحدي في القرآن التي وردت على سبيل الإشارة والإلماح إليه. ولعل آيات التحدي هي التي رسخت قضية الإعجاز التي ناقشها المكذبون ربما قبل أن يرد التعرض لها في القرآن تعرضًا، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ(٢٠) ثُمَّ نَظَرَ(٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ(٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ(٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ(٢٤) إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ(٢٥)﴾ (المدثر:١٨-٢٥)، وقد نزلت في الوليد بن المغيرة.

فإن الركون في الكلام المذكور هنا إلى تصنيف القرآن الكريم في إطار السحر لهو اعتراف صريح بخروجه على المألوف من كلام البشر، ولعل هذا هو الذي دعاه إلى تأكيد الزعم بأنه من كلام البشر، نذكر هذا للائتناس بهذا القول المذكور الذي يحاول صاحبه تفنيد الخصوصية والتفوق والرقي والسمو الذي لمسوه

واقعًا فعليًا في النص القرآني، ولكننا ننبه أيضًا إلى أننا لا نقبل بحال ما ذهب إليه بعض المفكرين المحدثين من أن الفهم السائد للإعجاز قبل المعتزلة كان " استمرارًا لما كان سائدًا من قبل، أي منذ، وصفت قريش القرآن بأنه سحر يؤثر".(٥٧)، فلم يكن هذا هو تلقى من آمنوا بالقرآن، ولكنه كان تصنيف من ترددوا في تصنيفه لأنه غير متوافق مع أي استعمال لغوي عرفوه.

المطلب الثاني: آيات التحدي في القرآن الكريم

لقد ورد التحدي بالقرآن الكريم في خمس آيات من خمس سور، نذكرها على الترتيب المصحفي، لا على الترتيب النزولي، ولا على ترتيب مراحل التحدي، على النحو التالي:

- في سورة البقرة: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٣).

- في سورة يونس، قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:٣٨).

- في سورة هود، قوله تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (هود: ١٣)

٤- في سورة الإسراء، قوله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء: ٨٨)،

٥- في سورة الطور، قوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور٣٣:-٣٤).

المطلب الثالث: لماذا لم يأت التحدي بآية من القرآن؟

قد جاء التحدي بالقرآن كاملاً، وجاء التحدي بعشر سور منه، وجاء التحدي بسورة، لكن لم يأتِ التحدي بآية؛ لأن من الآيات ما هو كلمة، كقوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ (الرحمن:٦٤)، ولا يعجز البشر أن يقولوا: (مدهامتان)، لكن مع ذلك فالآية معجزة في موضعها من الكلام وارتباطها بما قبلها وما بعدها، فلا تستطيع أن تحذف (مدهامتان) وتأتي بأي كلمة ترادفها تقوم مقامها، لكن بالنظر إليها مفردة لا تعجز، ولذا لم يحصل التحدي بها. وأقصر سورة في القرآن سورة الكوثر، فإذا قلنا -وهو قول الشافعي-: إن البسملة آية، صارت سورة الكوثر أربع آيات، فلا يحصل التحدي إلا بأربع آيات أو بمقدارها ولو آية واحدة، وإذا قلنا: إن البسملة ليست بآية -وهو قول الأكثر- قلنا: يحصل التحدي بثلاث آيات، أو بقدر هذه الثلاث ولو آية واحدة، المهم ألّا تقل عن قدر سورة الكوثر، فلا يمكن أن يأتوا بآية

واحدة بقدر أقصر سور القرآن".(٥٨)

"ويمكن القول بأن هذا التحدي كان أول مواجهة لتحدي ثقافي في زمن النبي ﷺ فزعم المشركون أن باستطاعتهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم وزعموا أن النبي ﷺ قد اختلقه فتحداهم الله أن يأتوا بمثله، وقرَّعهم بالعجز عن الإتيان- مع ما هم عليه من الأنفة والحمية- بما فيه من الآيات التي تبين أنه بلغتهم ومن جنس كلامهم فطالبهم أن يأتوا بمثله أو بمثل عشر سور منه أو بمثل سورة وتمر عليهم السنوات وتزداد الآيات وهم على عجزهم دائمون...".(٥٩)

والتحدي بالقران من جهة الإعجاز عن الإتيان بمثله يستوي قلة وكثرة، فليس الإتيان بقليله أسهل من الإتيان بكثيره، وذلك لأن التحدي واقع كيفًا ونوعًا، لا كمًا ولا مقدارًا، فليُنتبه لهذا لأن العجز عن الإتيان بقليله يستوي مع العجز عن الإتيان بكثيره، فلا يُظَنُ أن ترتيب التحدي تصاعديًا له أثر في قوة التحدي والتعجيز عن الإتيان بمثل القرآن كله أو بعضه.

وسيأتي معنا الكلام حول قضية ترتيب آيات التحدي.

المطلب الرابع: تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم

وقد ظهرت قضية الإعجاز في آيات التحدي، وقد اعتاد المفسرون ومؤلفو كتب علوم القرآن الإشارة إلى تعدد مستويات التحدي بالقرآن الكريم، وطيب لهم دائمًا الإشارة إلى تدرج التحدي من التحدي بأن يأتوا بمثل القرآن، إلى التحدي بأن يأتوا بعشر سور من مثله، إلى التحدي بأن يأتوا بسورة واحدة، مستشهدين في ذلك بآية سورة الإسراء ثم آية سورة هود ثم آية سورة البقرة، فهذه الآيات الثلاث يتحقق بها الترتيب التنازلي وفق ترتيب النزول، والحقيقة أن هذه المستويات متداخلة في ترتيب نزولها؛ ذلك لأن آيات التحدي وفق ما ذهبوا إليه لا تقتصر على هذه الآيات الثلاث، بل هناك آيتا سورة الطور وسورة يونس، وإذا نظرنا رؤية استقرائية شاملة للآيات الخمس وجدنا أن التدرج من الأعلى إلى الأدنى ليس تدرجًا صارمًا لا تداخل فيه، الأمر الذي جعل بعض المتعرضين لآيات التحدي من المسلمين يتغاضون عن الإشارة إلى بعض الآيات التي ربما توهم بشيء من عدم الاطراد في الترتيب التنازلي في التحدي من الأعلى إلى الأدنى، فذكر آيات سور: الإسراء للتدليل على التحدي بالقرآن كله، ثم ذكر آية سورة هود للتدليل على المستوى الثاني التحدي بعشر سور، ثم ذكر آية سورة البقرة التي جاء فيها التحدي بسورة واحدة، وهو المستوى الثالث(٦٠)، ولعل الذي دفع إلى هذا هو حساسية التعرض للتداخل في ترتيب النزول بين آيات التحدي، ولكن الحقيقة أن هذه رؤية عقل بشري قد تخطئ وقد تصيب، فلعل فكرة الترتيب التنازلي قد راقت لهم، ثم

لعلها قادتهم إلى التغاضي عن الاستقصاء أو إلى التغاضي عن الإشارة إلى التداخل بين هذه المستويات. وهذا الأمر نفسه جعل بعض المعترضين المتشككين يتغاضون -بدورهم -عن الاستقصاء في استقراء ترتيب النزول للسور التي جاءت فيها آيات التحدي، فانطلقوا بالمنحى الانتقائي المضاد للمنحى الانتقائي الأول، واكتفوا بذكر بعض آيات محاولين إثبات أن الترتيب جاء تصاعديًا وليس تنازليًا، أي بدأ بالتحدي بسورة ثم بعشر سور ثم بالقرآن كله، بل اختلقوا ترتيبًا ظنيًا لا نبرؤه من العَمْد، نتبين ذلك بالوقوف عند نموذج من العرض لبعض أصحاب هذا الاتجاه المضاد لآيات التحدي جاء فيه: أن آية سور الطور ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صادقين﴾ (الطور:٣٤) هي أول ما نزل من آيات التحدي، ثم رأى فيها إمكان أن يأتوا بحديث مثله مستندًا إلى أن إطلاق الحديث يترتب عليه إمكان أن يأتوا به؛ لأنه يتحقق في الآية والآيتين، ثم يخلص إلى أن " تحديهم بأن يأتوا بحديث مثله غير صحيح ولا مأمون فيه سوء العاقبة، فلذا عدل عنه محمد متدرجًا في التحدي إلى ما هو أعلى من ذلك، فجاء بالآية الثانية: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ (يونس: ٣٨)، ولم يقف عند هذا الحد حتى جعلها عشر سور، ثم ارتقى إلى ما يقتضيه التحدي الصحيح الذي يتعذر أو يستحيل عادة أن يجيبه إليه أحد، وهو تحديهم بأن يأتوا بمثل القرآن من دون قيد بحديث أو سورة كما قال في الآية الأخرى ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ﴾ (الإسراء: ٨٨)، وهذا هو التحدي الذي ترجع فيه المعارضة خائبة خاسرة بلا شك ولا ريب، ولذا نراه يتكلم بجراءة واطمئنان واثقًا بعجزهم عما يريد منهم، حتى أنه لم يتحد الإنس وحدهم بل جعل الجن لهم معاونين تهويلا عليهم وتأكيدًا لعجزهم.([٦١])

والغريب أن المتحدث هنا لم يهتم بالبحث فى ترتيب النزول، ولا اهتم بالرجوع إلى المراجع التى تعرضت له، على الرغم من رجوعه إلى بعض هذه المراجع فى كتابه المذكور ومنها كتاب الإتقان للسيوطى([٦٢])، والبرهان للزركشى([٦٣])، ثم إن الغريب الغريب أيضًا أن العرض الذي عمد إلى ذكر ثلاث آيات فقط، وهى آيات:(الإسراء وهود والبقرة) متوافق، لا نقول مع ترتيب السيوطي، بل متوافق مع ترتيب المستشرقين، وذلك في الترتيب الذي قام به "نولدكة" وأخذ به "بلاشير" في ترجمته لمعاني القرآن([٦٤]).

ولعل في هذا مالا يحوجنا إلى رد أو مناقشة هذا الزعم، فهو محض هراء؛ لأن الحقيقة التي لا جدال فيها أن الإسراء نزلت أولا ثم نزلت هود ثم نزلت البقرة، وهذا النزول يتحقق به الترتيب التنازلي في التحدي، وفق ما ذهب إليه أصحاب

الاتجاه الأول.ولكننا نود أن ندع هذا الاستقراء الناقص في الرؤيتين السابقتين لنعمد إلى تدبر ملمح آخر يتحدد في التداخل في ترتيب النزول بين آيات التحدي والترتيب التنازلي في التحدي نعتمد فيه على رؤية الآيات جميعها ونتجاوز الرؤية الانتقائية.

المطلب الخامس: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به، ولعلنا لسنا بحاجة إلى إيضاح أن المقصود بالترتيب التنازلي هو الترتيب المستند على الكم المتحدَّى به من الأكثر إلى الأقل، وهذا الترتيب التنازلي كما ذكرنا له ثلاثة مستويات:

المستوى الأول: التحدى بأن يأتوا بمثل هذا القرآن، وقد جاء هذا المستوى في سورتى: الإسراء والطور.

المستوى الثانى: التحدي بأن يأتوا بعشر سور من مثله، وقد جاء فى سورة هود.

المستوى الثالث: التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله، وقد جاء في سورتي يونس والبقرة.

ووفقًا للترتيب التنازلى نرى تداخلا فى ترتيب النزول؛ لأن الترتيب التنازلى يقتضى أن يكون المستوى الأول هو الأسبق فى زمن النزول، ثم يتلوه المستوى الثانى، ثم يتلوه المستوى الثالث، ولكن الحقيقة أن ترتيب النزول يقول غير ذلك، فترتيب النزول للسور السابق ذكرها فى مستويات التحدى هى وفق ترتيب النزول: الإسراء ثم يونس ثم هود ثم الطور ثم البقرة.والله قد تحداهم في سورة يونس بسورة واحدة فى قوله سبحانه: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ (يونس: ٣٨)، وتحداهم بعشر سور في سورة هود بقوله سبحانه: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود:١٣)، والذى يظهر أن التحدى بسورة واحدة الذى فى يونس متقدم نزولا، وأن التحدي بعشر سور الذي فى هود متأخر نزلا فهى تلى يونس نزولاً وقبلهما الإسراء.فالترتيب الذى قال به بعض المفسرين وتبعهم عليه بعض الباحثين كذلك يفتقر إلى بينة واضحة وحجة داحضة.

والبعض الآخر من الباحثين وقف تجاه ترتيب نزول آيات التحدي موقف التقليد لمن سبق دون دليل واضح أو برهان ساطع.(٦٥)

ترتيب الزركشي (ت: ٧٩٤هـ) والسيوطي(ت:٩١٠هـ) لآيات التحدي:

رتبها على ترتيب النزول صاحبا البرهان والإتقان كذلك على النحو التالي: فأولها: آية الإسراء. وثانيها: آية يونس. وثالثها: آية هود. ورابعها: آية الطور "وكلها مكي". وخامسها: آية البقرة في المدينة.(٦٦)

ويرى الزمخشري والبيضاوي والرازي وأبو حيان وابن كثير وابن عاشور والرافعي وغيرهم أن آية هود نزلت قبل آية يونس.

المبحث الثالث

التحدي بالقرآن - مراحله- والمقدار المعجز منه

المطلب الأول: التفصيل في مراحل التحدي بالقرآن

"والتحدي جاء مرة بالإتيان بمثل القرآن كله، ومرة بعشر سور، ومرة بسورة، ومرة بحديث مثله.فهل جاء التحدي بالقرآن متدرجًا من الأكثر إلى الأقل أم لا؟ للعلماء في مراحل التحديث بالقرآن الكريم أقوال:

القول الأول: وهو قول جمهور علماء التفسير والبلاغة أن التحدي كان متدرجًا بالقرآن كله كما في سورة الإسراء والطور، ثم تحداهم بعشر سور في سورة هود، ثم تحداهم بسورة في سورة يونس، ثم بسورة من مثله في سورة البقرة، ولكن هذا القول لا يساعد عليه ترتيب نزول القرآن الكريم.

القول الثاني: رتب آيات التحدي ترتيب النزول وأنه كان متدرجًا أيضًا، إلا أن التحدي بسورة وقع قبل التحدي بعشر سور، ثم ذهب أصحاب هذا القول يعللون ذلك بتعليلات ليس فيها ما يقنع.

القول الثالث: وهو ما أرى صوابه أن القولين السابقين قاما على تصور أن الإتيان بمثل القرآن أصعب من الإتيان بمثل عشر سور وأن الإتيان بالعشر أصعب من الإتيان بسورة وهذا غير صحيح.لأن القرآن كله قليله وكثيره على حد سواء في الإعجاز، فليس الإتيان بسورة أسهل من الإتيان بالقرآن كله فالتحدي في القرآن بالكيف لا بالكم وبالنوع لا بالمقدار فلا يهم إذًا أن يكون التحدي بسورة جاء قبل التحدي بعشر سور أو قبل التحدي بالقرآن كله. واستحالة المجيء بمثل سورة من القرآن كاستحالة المجيء بعشر سور، واستحالة المجيء بمثل القرآن كله على حد سواء فكل ذلك متعذر، ولذا فلا أثر للاختلاف في ترتيب آيات التحدي ما دام لا يترتب عليه أثر في قوة التحدي والعجز كان عن الإتيان بجنس القرآن لا عن مقداره.([٦٧])

والعجز عن الإتيان بحديث مثله هو العجز نفسه عن الإتيان بسورة منه، وهو العجز نفسه عن الإتيان بعشر سور مثله مفتريات، والجذم بترتيب آيات التحدي من الكثرة إلى القلة لا يؤثر في كون العجز عن الإتيان بسورة أو عشر سور أو بمثله كله محال، وذلك لأن التحدي قائمًا عن الإتيان بالقرآن نفسه لا عن الإتيان بمقدار منه فحسب.

المطلب الثاني: مقدار المعجز من القرآن الكريم

ومما يتصل بالحديث حديث عن القدر المعجز من القرآن الكريم، فقد وقع في هذا القدر خلافًا أيضًا على أقوال هي:

القول الأول: أن الإعجاز متعلق بجميع القرآن لا ببعضه وهذا القول مردود بالآيات التي تتحدى بعشر سور وبسورة واحدة أو حديث مثله.

القول الثاني: أن الإعجاز متعلق بسورة تامة طويلة أو قصيرة وهذا رأي الجمهور، وزاد بعضهم أنه يتعلق أيضًا بقدر سورة تامة (٦٨) من الكلام بحيث يظهر به تفاضل قوى البلاغة، وأقصر سورة في القرآن هي سورة الكوثر ثلاث آيات فيكون مقدار هذه السورة من الآيات معجز.

القول الثالث: أن الإعجاز يتعلق بقليل القرآن وكثيره لقوله تعالى: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾(الطور: ٣٤) والتحدي بجنس القرآن لا بالمقدار كما مر بنا بيانه، وهذا هو الراجح، والله أعلم.([٦٩])

وفي نحو هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وَالْقُرْآنُ نَفْسُهُ فِيهِ تَحَدِّي الْأُمَمِ بِالْمُعَارَضَةِ، وَالتَّحَدِّي هُوَ أَنْ يَحْدُوَهُمْ: أَيْ يَدْعُوَهُمْ فَيَبْعَثُهُمْ إلَى أَنْ يُعَارِضُوهُ، فَيُقَالُ فِيهِ: حَدَانِي عَلَى هَذَا الْأَمْرِ: أَيْ بَعَثَنِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ حَادِي الْعِيسِ؛ لِأَنَّهُ بِحِدَاهُ يَبْعَثُهَا عَلَى السَّيْرِ.([٧٠])

- **التحدي بحديث مثله:** وَقَدْ يُرِيدُ بَعْضُ النَّاسِ بِالتَّحَدِّي دَعْوَى النُّبُوَّةِ، وَلَكِنَّهُ أَصْلُهُ الْأَوَّلُ، قَالَ تَعَالَى: فِي سُورَةِ الطُّورِ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٣-٣٤).فَهُنَا قَالَ: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾ (الطور: ٣٤).فِي أَنَّهُ تَقَوَّلَهُ، فَإِنَّهُ إذَا كَانَ مُحَمَّدٌ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَتَقَوَّلَهُ كَمَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ بِمَا يَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَظْمٍ وَنَثْرٍ، كَانَ هَذَا مُمْكِنًا لِلنَّاسِ، الَّذِينَ هُمْ مِنْ جِنْسِهِ، فَأَمْكَنَ النَّاسَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِهِ.

- **ثُمَّ إنَّهُ تَحَدَّاهُمْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ:** فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (هود:١٣).

- **ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُ:** فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ - أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (يونس:٣٧- ٣٨). فَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ هُمْ وَكُلُّ مَنِ اسْتَطَاعُوا مَنْ دُونِ اللَّهِ، ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِسُورَةٍ وَاحِدَةٍ هُمْ وَمَنِ اسْتَطَاعُوا، قَالَ:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾ (هود:١٤). كَمَا قَالَ: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾(النساء: ١٦٦). أَيْ: هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ، لا يَعْلَمُ أَنَّهُ مُفْتَرًى، كَمَا قَالَ: ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (يونس:٣٧). أَيْ: مَا كَانَ لِأَنْ يُفْتَرَى، يَقُولُ: مَا كَانَ لِيَفْعَلَ هَذَا.فَلَمْ يَنْفِ مُجَرَّدَ فِعْلِهِ، بَلْ نَفَى احْتِمَالَ فِعْلِهِ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّ مِثْلَ هَذَا لا يَقَعُ، بَلْ يَمْتَنِعُ وُقُوعُهُ فَيَكُونُ الْمَعْنَى: مَا يُمْكِنُ، وَلا يُحْتَمَلُ، وَلا يَجُوزُ أَنْ يُفْتَرَى هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنَّ الَّذِي يَفْتَرِيهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَالْمَخْلُوقُ لا يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ.وَهَذَا التَّحَدِّي كَانَ بِمَكَّةَ، فَإِنَّ هَذِهِ السُّوَرَ مَكِّيَّةٌ؛ سُورَةَ يُونُسَ، وَهُودٍ، وَالطُّورِ. ثُمَّ أَعَادَ التَّحَدِّي فِي الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ: فَقَالَ فِي (الْبَقَرَةِ) وَهِيَ سُورَةٌ مَدَنِيَّةٌ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٢٣). ثُمَّ قَالَ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ (البقرة:٢٤). فَذَكَرَ أَمْرَيْنِ: أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة من آية:٢٤). يَقُولُ: إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا فَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ حَقٌّ، فَخَافُوا اللَّهَ أَنْ تُكَذِّبُوهُ، فَيَحِيقُ بِكُمُ الْعَذَابُ، الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْمُكَذِّبِينَ، وَهَذَا دُعَاءٌ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، بَعْدَ أَنْ دَعَاهُمْ بِالْحِكْمَةِ، وَهُوَ جِدَالُهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. وَالثَّانِي: قَوْلُهُ: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ (البقرة من آية:٢٤). وَ(لَنْ) لِنَفْيِ الْمُسْتَقْبَلِ، فَثَبَتَ الْخَبَرُ أَنَّهُمْ فِيمَا يُسْتَقْبَلُ مِنَ الزَّمَانِ، لا يَأْتُونَ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ كَمَا أَخْبَرَ قَبْلَ ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ فِي سُورَةِ (سُبْحَانَ)، وَهِيَ سُورَةٌ مَكِّيَّةٌ، افْتَتَحَهَا بِذِكْرِ الْإِسْرَاءِ، وَهُوَ كَانَ بِمَكَّةَ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ، وَذَكَرَ فِيهَا مِنْ مُخَاطَبَتِهِ لِلْكُفَّارِ بِمَكَّةَ مَا يُبَيِّنُ بِذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨) فَعَمَّ بِالْخَبَرِ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُعْجِزًا لَهُمْ، قَاطِعًا بِأَنَّهُمْ إِذَا اجْتَمَعُوا كُلُّهُمْ، لا يَأْتُونَ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ، وَلَوْ تَظَاهَرُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا التَّحَدِّي وَالدُّعَاءُ هُوَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهَذَا قَدْ سَمِعَهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَ الْقُرْآنَ وَعَرَفَهُ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ، وَعَلِمَ -مَعَ ذَلِكَ- أَنَّهُمْ لَمْ يُعَارِضُوهُ، وَلا أَتَوْا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَمِنْ حِينِ بُعِثَ، وَإِلَى الْيَوْمِ، الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ، مَعَ مَا عُلِمَ مِنْ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ كَانُوا كُفَّارًا قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ، وَلَمَّا بُعِثَ إِنَّمَا تَبِعَهُ قَلِيلٌ.

وَكَانَ الْكُفَّارُ مِنْ أَحْرَصِ النَّاسِ عَلَى إِبْطَالِ قَوْلِهِ، مُجْتَهِدِينَ بِكُلِّ طَرِيقٍ يُمْكِنُ، تَارَةً يَذْهَبُونَ إِلَى أَهْلِ الْكِتَابِ فَيَسْأَلُونَهُمْ عَنْ أُمُورٍ مِنَ الْغَيْبِ، حَتَّى يَسْأَلُوهُ عَنْهَا، كَمَا سَأَلُوهُ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ وَأَهْلِ الْكَهْفِ وَذِي الْقَرْنَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ. وَتَارَةً يَجْتَمِعُونَ فِي مَجْمَعٍ بَعْدَ مَجْمَعٍ عَلَى مَا يَقُولُونَهُ فِيهِ، وَصَارُوا يَضْرِبُونَ لَهُ الْأَمْثَالَ،

فَيُشَبِّهُونَهُ بِمَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ لِمُجَرَّدِ شَبَهٍ مَا مَعَ ظُهُورِ الْفَرْقِ.فَتَارَةً يَقُولُونَ: مَجْنُونٌ.وَتَارَةً يَقُولُونَ: سَاحِرٌ.وَتَارَةً يَقُولُونَ: كَاهِنٌ.وَتَارَةً يَقُولُونَ: شَاعِرٌ...إِلَى أَمْثَالِ ذَلِكَ مِنَ الْأَقْوَالِ الَّتِي يَعْلَمُونَ –هُمْ وَكُلُّ عَاقِلٍ سَمِعَهَا– أَنَّهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ.

فَإِذَا كَانَ قَدْ تَحَدَّاهُمْ بِالْمُعَارَضَةِ –مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ– وَهِيَ تُبْطِلُ دَعْوَتَهُ، فَمَعْلُومٌ أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهَا لَفَعَلُوهَا، فَإِنَّهُ مَعَ وُجُودِ هَذَا الدَّاعِي التَّامِّ الْمُؤَكَّدِ إِذَا كَانَتِ الْقُدْرَةُ حَاصِلَةً، وَجَبَ وُجُودُ الْمَقْدُورِ، ثُمَّ هَكَذَا الْقَوْلُ فِي سَائِرِ أَهْلِ الْأَرْضِ.

فَهَذَا الْقَدْرُ يُوجِبُ عِلْمًا بَيِّنًا لِكُلِّ أَحَدٍ بِعَجْزِ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ، عَنْ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ بِحِيلَةٍ، وَبِغَيْرِ حِيلَةٍ.وَهَذَا أَبْلَغُ مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي يُكَرَّرُ جِنْسُهَا كَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِهِ، وَكَوْنُ الْقُرْآنِ أَنَّهُ مُعْجِزَةٌ لَيْسَ هُوَ مِنْ جِهَةِ فَصَاحَتِهِ وَبَلَاغَتِهِ فَقَطْ، أَوْ نَظْمِهِ وَأُسْلُوبِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ إِخْبَارِهِ بِالْغَيْبِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ صَرْفِ الدَّوَاعِي عَنْ مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، وَلَا مِنْ جِهَةِ سَلْبِ قُدْرَتِهِمْ عَلَى مُعَارَضَتِهِ فَقَطْ، بَلْ هُوَ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مُعْجِزَةٌ مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ: مِنْ جِهَةِ اللَّفْظِ، وَمِنْ جِهَةِ النَّظْمِ، وَمِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى، وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَمِنْ جِهَةِ مَعَانِيهِ، الَّتِي أَخْبَرَ بِهَا عَنِ الْغَيْبِ الْمَاضِي، وَعَنِ الْغَيْبِ الْمُسْتَقْبَلِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَعَادِ، وَمِنْ جِهَةِ مَا بَيَّنَ فِيهِ مِنَ الدَّلَائِلِ الْيَقِينِيَّةِ، وَالْأَقْيِسَةِ الْعَقْلِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْأَمْثَالُ الْمَضْرُوبَةُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلا كُفُورًا﴾ (الإسراء:٨٩). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا﴾ (الكهف: ٥٤). وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (الزمر:٢٧-٢٨).

ولو قدر أن واحدًا صنَّف كتابًا يقدر أمثاله على تصنيف مثله، أو قال شعرًا يقدر أمثاله أن يقولوا مثله، وتَحَدَّاهم كلهم فقال: عارضوني، وإن لم تعارضوني فأنتم كفار، مأواكم النار، ودماؤكم لي حلال، امتنع في العادة ألا يعارضه أحد، فإذا لم يعارضوه كان هذا من أبلغ العجائب الخارقة للعادة، والذي جاء بالقرآن قال للخلق كلهم: أنا رسول الله إليكم جميعًا، ومن آمن بي دخل الجنة، ومن لم يؤمن بي دخل النار، وقد أبيح لي قتل رجالهم، وسبي ذراريهم، وغنيمة أموالهم، ووجب عليهم كلهم طاعتي، ومن لم يطعني كان من أشقى الخلق، ومن آياتي هذا القرآن، فإنه لا يقدر أحد على أن يأتي بمثله، وأنا أخبركم أن أحدًا لا يأتي بمثله لمعاني القرآن لا في الحقيقة ولا في الكيفية ولا الكمية؛ بل يظهر التفاوت لكل مَن تَدَبَّر القرآن وتدبر الكتب، وهذه الأمور من ظهرت له من أهل العلم والمعرفة ظهر له

إعجازه من هذا الوجه، ومن لم يظهر له ذلك اكتفى بالأمر الظاهر الذي يظهر لـه ولأمثاله؛ كعجْز جميع الخلق عن الإتيان بمثله مع تحدِّي النبيِّ وإخباره بعجـزهم، فإن هذا أمرٌ ظاهرٌ لكل أحد".([٧١])

المطلب الثالث: بطلان القول بالصَّرفة

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت:٧٢٨هـ): وَكُلُّ مَا ذَكَرَهُ النَّاسُ مِنَ الْوُجُوهِ فِي إِعْجَازِ الْقُرْآنِ، هُوَ حُجَّةٌ عَلَى إِعْجَازِهِ، وَلا تَنَاقُضَ فِي ذَلِكَ، بَلْ كُلُّ قَوْمٍ تَنَبَّهُوا لِمَا تَنَبَّهُوا لَهُ. وَمِنْ أَضْعَفِ الْأَقْوَالِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَهْلِ الْكَلامِ: إِنَّهُ مُعْجِزٌ بِصَرْفِ الدَّوَاعِي -مَعَ تَمَامِ الْمُوجِبِ لَهَا- أَوْ بِسَلْبِ الْقُدْرَةِ التَّامَّةِ، أَوْ بِسَلْبِهِمُ الْقُدْرَةَ الْمُعْتَادَةَ فِي مِثْلِهِ سَلْبًا عَامًّا، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى لِزَكَرِيَّا: ﴿آيَتُكَ أَلا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (مريم:١٠).وَهُوَ أَنَّ اللَّهَ صَرَفَ قُلُوبَ الْأُمَمِ عَنْ مُعَارَضَتِهِ مَعَ قِيَامِ الْمُقْتَضِي التَّامِّ.فَإِنَّ هَذَا يُقَالُ عَلَى سَبِيلِ التَّقْدِيرِ وَالتَّنْزِيلِ،([٧٢]) وَهُوَ أَنَّهُ إِذَا قُدِّرَ أَنَّ هَذَا الْكَلامَ يَقْدِرُ النَّاسُ عَلَى الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، فَامْتِنَاعُهُمْ -جَمِيعُهُمْ- عَنْ هَذِهِ الْمُعَارَضَةِ، مَعَ قِيَامِ الدَّوَاعِي الْعَظِيمَةِ إِلَى الْمُعَارَضَةِ، مِنْ أَبْلَغِ الْآيَاتِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَاتِ، بِمَنْزِلَةِ مَنْ يَقُولُ: إِنِّي آخُذُ أَمْوَالَ جَمِيعِ أَهْلِ هَذَا الْبَلَدِ الْعَظِيمِ، وَأَضْرِبُهُمْ جَمِيعَهُمْ، وَأُجَوِّعُهُمْ، وَهُمْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ يَشْكُوا إِلَى اللَّهِ، أَوْ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، وَلَيْسَ فِيهِمْ -مَعَ ذَلِكَ- مَنْ يَشْتَكِي، فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّ وَاحِدًا صَنَّفَ كِتَابًا يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ عَلَى تَصْنِيفِ مِثْلِهِ، أَوْ قَالَ شِعْرًا، يَقْدِرُ أَمْثَالُهُ أَنْ يَقُولُوا مِثْلَهُ، وَتَحَدَّاهُمْ كُلَّهُمْ، فَقَالَ: عَارِضُونِي، وَإِنْ لَمْ تُعَارِضُونِي فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ، مَأْوَاكُمُ النَّارُ، وَدِمَاؤُكُمْ لِي حَلالٌ، امْتَنَعَ فِي الْعَادَةِ أَنْ لا يُعَارِضَهُ أَحَدٌ.فَإِذَا لَمْ يُعَارِضُوهُ كَانَ هَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْعَجَائِبِ الْخَارِقَةِ لِلْعَادَةِ. فَيُقَالُ: لا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ قَادِرِينَ عَلَى الْمُعَارَضَةِ أَوْ عَاجِزِينَ. فَإِنْ كَانُوا قَادِرِينَ، وَلَمْ يُعَارِضُوهُ، بَلْ صَرَفَ اللَّهُ دَوَاعِيَ قُلُوبِهِمْ، وَمَنَعَهَا أَنْ تُرِيدَ مُعَارَضَتَهُ مَعَ هَذَا التَّحَدِّي الْعَظِيمِ، أَوْ سَلَبَهُمُ الْقُدْرَةَ الَّتِي كَانَتْ فِيهِمْ قَبْلَ تَحَدِّيهِ، فَإِنَّ سَلْبَ الْقُدْرَةِ الْمُعْتَادَةِ أَنْ يَقُولَ رَجُلٌ: مُعْجِزَتِي أَنَّكُمْ كُلُّكُمْ لا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَلَى الْكَلامِ وَلا عَلَى الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ، فَإِنَّ الْمَنْعَ مِنَ الْمُعْتَادِ كَإِحْدَاثِ غَيْرِ الْمُعْتَادِ -فَهَذَا مِنْ أَبْلَغِ الْخَوَارِقِ. وَإِنْ كَانُوا عَاجِزِينَ، ثَبَتَ أَنَّهُ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، فَثَبَتَ كَوْنُهُ خَارِقًا عَلَى تَقْدِيرِ النَّقِيضَيْنِ؛ النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ.فَثَبَتَ أَنَّهُ مِنَ الْعَجَائِبِ النَّاقِضَةِ لِلْعَادَةِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ. فَهَذَا غَايَةُ التَّنَزُّلِ، وَإِلا فَالصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ، لا يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، وَلا يَقْدِرُ مُحَمَّدٌ ﷺ -نَفْسُهُ- مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ عَلَى أَنْ يُبَدِّلَ سُورَةً مِنَ الْقُرْآنِ، بَلْ يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْقُرْآنِ وَبَيْنَ سَائِرِ كَلامِهِ لِكُلِّ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَدَبُّرٍ، كَمَا قَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قُلْ لَئِنِ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء:٨٨). وَأَيْضًا فَالنَّاسُ يَجِدُونَ دَوَاعِيَهِمْ إِلَى الْمُعَارَضَةِ حَاصِلَةً، لَكِنَّهُمْ يُحِسُّونَ مِنْ أَنْفُسِهِمُ الْعَجْزَ عَنِ الْمُعَارَضَةِ، وَلَوْ كَانُوا قَادِرِينَ لَعَارَضُوهُ. وَقَدِ انْتَدَبَ غَيْرُ وَاحِدٍ لِمُعَارَضَتِهِ، لَكِنْ جَاءَ بِكَلَامٍ فَضَحَ بِهِ نَفْسَهُ، وَظَهَرَ بِهِ تَحْقِيقُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنْ عَجْزِ الْخَلْقِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ، مِثْلُ قُرْآنِ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، كَقَوْلِهِ: (يَا ضُفْدَعُ بِنْتَ ضُفْدَعِينَ، نِقِي كَمْ تَنِقِّينَ، لا الْمَاءَ تُكَدِّرِينَ، وَلا الشَّارِبَ تَمْنَعِينَ، رَأْسُكِ فِي الْمَاءِ، وَذَنَبُكِ فِي الطِّينِ). وَكَذَلِكَ -أَيْضًا- يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَمْ يَخْتَلِفْ حَالُ قُدْرَتِهِمْ قَبْلَ سَمَاعِهِ وَبَعْدَ سَمَاعِهِ، فَلا يَجِدُونَ أَنْفُسَهُمْ عَاجِزِينَ عَمَّا كَانُوا قَادِرِينَ عَلَيْهِ كَمَا وَجَدَ زَكَرِيَّا عَجْزَهُ عَنِ الْكَلَامِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ عَلَيْهِ. وَأَيْضًا فَلا نِزَاعَ بَيْنَ الْعُقَلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ بِمُحَمَّدٍ وَالْمُكَذِّبِينَ لَهُ، إِنَّهُ كَانَ قَصْدُهُ أَنْ يُصَدِّقَهُ النَّاسُ وَلا يُكَذِّبُوهُ، وَكَانَ -مَعَ ذَلِكَ- مِنْ أَعْقَلِ النَّاسِ وَأَخْبَرِهِمْ وَأَعْرَفِهِمْ بِمَا جَاءَ بِهِ، يَنَالُ مَقْصُودَهُ، سَوَاءٌ قِيلَ: إِنَّهُ صَادِقٌ أَوْ كَاذِبٌ.فَإِنَّ مَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى مِثْلِ هَذَا الْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اسْتَجَابُوا لَهُ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَظَهَرَتْ دَعْوَتُهُ وَانْتَشَرَتْ مِلَّتُهُ هَذَا الِانْتِشَارَ، هُوَ مِنْ عُظَمَاءِ الرِّجَالِ عَلَى أَيِّ حَالٍ كَانَ.فَإِقْدَامُهُ - مَعَ هَذَا الْقَصْدِ - فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ وَهُوَ بِمَكَّةَ، وَأَتْبَاعُهُ قَلِيلٌ، عَلَى أَنْ يَقُولَ خَبَرًا، يَقْطَعُ بِهِ أَنَّهُ لَوِ اجْتَمَعَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، لا فِي ذَلِكَ الْعَصْرِ، وَلا فِي سَائِرِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ، لا يَكُونُ إِلا مَعَ جَزْمِهِ بِذَلِكَ، وَتَيَقُّنِهِ لَهُ، وَإِلا فَمَعَ الشَّكِّ وَالظَّنِّ لا يَقُولُ ذَلِكَ مَنْ يَخَافُ أَنْ يَظْهَرَ كَذِبُهُ فَيَفْتَضِحَ فَيَرْجِعَ النَّاسُ عَنْ تَصْدِيقِهِ.

وَإِذَا كَانَ جَازِمًا بِذَلِكَ -مُتَيَقِّنًا لَهُ- لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلا عَنْ إِعْلَامِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ.وَلَيْسَ فِي الْعُلُومِ الْمُعْتَادَةِ أَنْ يَعْلَمَ الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلْقِ لا يَقْدِرُونَ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ كَلَامِهِ إِلا إِذَا عَلِمَ الْعَالَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ قُدْرَةِ الْبَشَرِ.وَالْعِلْمُ بِهَذَا يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ مُعْجِزًا، فَإِنَّا نَعْلَمُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِلْمُنَا بِذَلِكَ خَارِقًا لِلْعَادَةِ، وَلَكِنْ يَلْزَمُ مِنَ الْعِلْمِ ثُبُوتُ الْمَعْلُومِ، وَإِلا كَانَ الْعِلْمُ جَهْلا، فَثَبَتَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ يَسْتَلْزِمُ كَوْنَهُ خَارِقًا لِلْعَادَةِ.(٧٣)

المطلب الرابع: استمرار التحدي بالقرآن الكريم

"والتحدي في القرآن الكريم ليس خاصًّا بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقي القرآن يعلن للناس تحديه فقوله عز شأنه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ (الإسراء من الآية:٨٨) الآية.عام يشمل جميع الإنس في جميع العصور ولأن القرآن خاتم الكتب، والرسول ﷺ خاتم الرسل، والإسلام خاتم الأديان(٧٤)، فقد اقتضت الحكمة بقاء المعجزة لتكون شاهدة على كل جيل كما هي شاهدة على الجيل الأول. ولئن عجز الجيل الأول وهم أهل الفصاحة والبلاغة وأهل البيان والبديع عن الإتيان بمثل هذا القرآن أو بعضه أو مجرد محاولة ذلك لعلمهم

سلفًا بعجزهم عن ذلك فإن من بعدهم أعجز وأبعد عن الاستطاعة، فالإعجاز مستمر والتحدي قائم إلى يوم القيامة".([٧٥]) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ) عن الإعجاز "....نفْسُ نظْمِ الْقُرْآنِ وَأُسْلُوبِهِ عَجِيبٌ بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ أَسَالِيبِ الْكَلَامِ الْمَعْرُوفَةِ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِنَظِيرِ هَذَا الْأُسْلُوبِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جِنْسِ الشِّعْرِ وَلَا الرَّجَزِ وَلَا الْخَطَابَةِ وَلَا الرَّسَائِلِ، وَلَا نَظْمُهُ نَظْمُ شَيْءٍ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ عَرَبِهِمْ وَعَجَمِهِمْ، وَنَفْسُ فَصَاحَةِ الْقُرْآنِ وَبَلَاغَتِهِ هَذَا عَجِيبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ فِي كَلَامِ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَبَسْطُ هَذَا وَتَفْصِيلُهُ طَوِيلٌ، يَعْرِفُهُ مَنْ لَهُ نَظَرٌ وَتَدَبُّرٌ. وَنَفْسُ مَا أَخْبَرَ بِهِ الْقُرْآنُ فِي بَابِ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، أَمْرٌ عَجِيبٌ خَارِقٌ لِلْعَادَةِ، لَمْ يُوجَدْ مِثْلُ ذَلِكَ فِي كَلَامِ بَشَرٍ، لا نَبِيٍّ وَلا غَيْرِ نَبِيٍّ. وَكَذَلِكَ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنِ الْمَلَائِكَةِ وَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْجِنِّ وَخَلْقِ آدَمَ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَنَفْسُ مَا أَمَرَ بِهِ الْقُرْآنُ مِنَ الدِّينِ، وَالشَّرَائِعِ كَذَلِكَ، وَنَفْسُ مَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْأَمْثَالِ، وَبَيَّنَهُ مِنَ الدَّلَائِلِ هُوَ – أَيْضًا – كَذَلِكَ. وَمَنْ تَدَبَّرَ مَا صَنَّفَهُ جَمِيعُ الْعُقَلَاءِ فِي الْعُلُومِ الْإِلَهِيَّةِ وَالْخُلُقِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَجَدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا جَاءَ فِي الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ – التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ وَصُحُفِ الْأَنْبِيَاءِ – وَجَدَ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ الْقُرْآنِ مِنَ التَّفَاوُتِ أَعْظَمَ مِمَّا بَيْنَ لَفْظِهِ وَنَظْمِهِ، وَبَيْنَ سَائِرِ أَلْفَاظِ الْعَرَبِ وَنَظْمِهِمْ. فَالْإِعْجَازُ فِي مَعْنَاهُ أَعْظَمُ وَأَكْثَرُ مِنَ الْإِعْجَازِ فِي لَفْظِهِ، وَجَمِيعُ عُقَلَاءِ الْأُمَمِ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ مَعَانِيهِ أَعْظَمَ مِنْ عَجْزِ الْعَرَبِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِ لَفْظِهِ.وَمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ: وَلَوْ قُدِّرَ أَنَّهُ مِثْلُ الْقُرْآنِ، لا يُقْدَحُ فِي الْمَقْصُودِ، فَإِنَّ تِلْكَ كُتُبُ اللَّهِ – أَيْضًا – وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَأْتِيَ نَبِيٌّ بِنَظِيرِ آيَةِ نَبِيٍّ، كَمَا أَتَى الْمَسِيحُ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَقَدْ وَقَعَ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى عَلَى يَدِ غَيْرِهِ؛ فَكَيْفَ وَلَيْسَ مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مُمَاثِلا لِمَعَانِي الْقُرْآنِ؛ لا فِي الْحَقِيقَةِ وَلا فِي الْكَيْفِيَّةِ وَلا الْكَمِّيَّةِ، بَلْ يَظْهَرُ التَّفَاوُتُ لِكُلِّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ وَتَدَبَّرَ الْكُتُبَ. وَهَذِهِ الْأُمُورُ مَنْ ظَهَرَتْ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ، ظَهَرَ لَهُ إِعْجَازُهُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَمَنْ لَمْ يَظْهَرْ لَهُ ذَلِكَ اكْتَفَى بِالْأَمْرِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَظْهَرُ لَهُ وَلِأَمْثَالِهِ كَعَجْزِ جَمِيعِ الْخَلْقِ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ مَعَ تَحَدِّي النَّبِيِّ، وَإِخْبَارِهِ بِعَجْزِهِمْ، فَإِنَّ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ لِكُلِّ أَحَدٍ. وَدَلَائِلُ النُّبُوَّةِ مِنْ جِنْسِ دَلَائِلِ الرُّبُوبِيَّةِ، فِيهَا الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ لِكُلِّ أَحَدٍ ؛ كَالْحَوَادِثِ الْمَشْهُودَةِ ؛ مِثْلِ خَلْقِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالسَّحَابِ وَإِنْزَالِ الْمَطَرِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَفِيهَا مَا يَخْتَصُّ بِهِ مَنْ عَرَفَهُ مِثْلُ دَقَائِقِ التَّشْرِيحِ وَمَقَادِيرِ الْكَوَاكِبِ وَحَرَكَاتِهَا، وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْخَلْقَ كُلَّهُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى الْإِقْرَارِ بِالْخَالِقِ وَالْإِقْرَارِ بِرُسُلِهِ، وَمَا اشْتَدَّتِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَإِنَّ اللَّهَ يَجُودُ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ جُودًا عَامًّا مُيَسَّرًا. فَلَمَّا كَانَتْ حَاجَتُهُمْ إِلَى النَّفْسِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْمَاءِ، وَحَاجَتُهُمْ إِلَى الْمَاءِ أَكْثَرَ مِنْ حَاجَتِهِمْ إِلَى الْأَكْلِ، كَانَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَاءَ بِالْهَوَاءِ جُودًا عَامًّا فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ لِضَرُورَةِ الْحَيَوَانِ إِلَيْهِ، ثُمَّ الْمَاءُ دُونَهُ، وَلَكِنَّهُ يُوجَدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُوجَدُ الْقُوتُ وَأَيْسَرَ؛ لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ أَشَدُّ. فَكَذَلِكَ

دَلائِلُ الرُّبُوبِيَّةِ، حَاجَةُ الْخَلْقِ إِلَيْهَا فِي دِينِهِمْ أَشَدُّ الْحَاجَاتِ، ثُمَّ دَلائِلُ النُّبُوَّةِ؛ فَلِهَذَا يَسَّرَهَا اللَّهُ وَسَهَّلَهَا أَكْثَرَ مِمَّا لا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَامَّةُ، مِثْلُ تَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ وَاخْتِلافِهَا، وَبَقَاءِ الْأَعْرَاضِ أَوْ فَنَائِهَا، وَثُبُوتِ الْجَوْهَرِ الْفَرْدِ أَوِ انْتِفَائِهِ، وَمِثْلُ مَسَائِلِ الْمُسْتَحَاضَةِ، وَفَوَاتِ الْحَجِّ وَفَسَادِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَكَلَّمُ فِيهِ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ. فَكَذَلِكَ دَلائِلُ الرُّبُوبِيَّةِ، حَاجَةُ الْخَلْقِ إِلَيْهَا فِي دِينِهِمْ أَشَدُّ الْحَاجَاتِ، ثُمَّ دَلائِلُ النُّبُوَّةِ ؛ فَلِهَذَا يَسَّرَهَا اللَّهُ وَسَهَّلَهَا أَكْثَرَ مِمَّا لا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْعَامَّةُ، مِثْلُ تَمَاثُلِ الْأَجْسَامِ.(٧٦)

"فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين وبينه للناس وهو من أعظم ما أقام الله الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بينوه وبلغوه وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه والحكمة التي هي سنة رسول الله ﷺ التي نقلوها أيضا عن الرسول مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب والحمد لله الذي بعث فينا رسولا من أنفسنا يتلو علينا آياته ويزكينا ويعلمنا الكتاب والحكمة الذي أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينا الذي أنزل الكتاب تفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (يوسف:١١١).(٧٧)

الفصل الثالث

وجوه إعجاز القرآن الكريم "إجمالا" و"تفصيلا"

المبحث الأول: إنزال القرآن الكريم من أعظم دلائل النبوة

المطلب الأول

من دلائل النبوة إنزال القرآن الكريم على نبي أمّي

"إن من أعظم دلائل النبوة إنزال القرآن الكريم على رسوله الأُمِّي الذي لم يتلق كتابًا قبله بيمنه كما قال ربنا: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت:٤٨)، قال الطبري(ت:٣١٠هـ): وَلَوْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوحَى إِلَيْكَ تَقْرَأُ الْكِتَابَ، أَوْ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ، ﴿إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾، يَقُولُ: إِذَنْ لَشَكَّ بِسَبَبِ ذَلِكَ فِي أَمْرِكَ، وَمَا جِئْتَهُمْ بِهِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ الَّذِي تَتْلُوهُ عَلَيْهِمُ الْمُبْطِلُونَ الْقَائِلُونَ: إِنَّهُ سَجْعٌ وَكَهَانَةٌ، وَإِنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ. وَبِنَحْوِ الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ. وعن ابن عباس (ت:٦٨هـ) رضي الله عنهما قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ أُمِّيًّا لا يَقْرَأُ شَيْئًا وَلا يَكْتُبُ، وعن قتادة(ت: ١١٨هـ) قال: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ لا يَقْرَأُ كِتَابًا قَبْلَهُ، وَلا يَخُطُّهُ بِيَمِينِهِ، قَالَ: كَانَ أُمِّيًّا، وَالْأُمِّيُّ: الَّذِي لا يَكْتُبُ".(٧٨)، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ

ٱلْأُمِّيَّ﴾ (الأعراف:من آية:١٥٧)، قال الواحدي(ت: ٤٦٨هـ): هو الذي لا يكتب ولا يقرأ، وكانت هذه الخلَّة مؤكدة لمعجزته فى القرآن".(٧٩) وهذا المعنى هو الذي دلل عليه النبى الله ﷺ وأشار إليه بقوله: (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ).(٨٠)

بقاء وخلود معجزة القرآن:

و"القرآن الكريم كلام الله تعالى، أنزله على خير خلقه، وصفوة رسله، ليكون آيته الكبرى، ومعجزته العظمى، المؤيدة لدعوته، الشاهدة بصدق نبوته، ولا يعقل أن يؤيده بدليل يتلاشى أمام البحث، ويذهب سدى عند النقد الصحيح.

أنزل الله هذا الكتاب فأعجز به سائر البشر، ووقفوا منه في كل زمان ومكان موقف المبهوتين الذين بهرهم أسلوبه، وأخذت بمجامع قلوبهم جزالته، واستولت على نفوسهم عظمته، حتى إن بعضهم كان يعترف بقوة القرآن الكريم، وعظيم سلطانه على النفوس حينما يثوب إلى رشده، ويخلع رداء العصبية الجاهلية عن نفسه. وليس أدل على إعجاز القرآن الكريم من نزوله على رسول الله ﷺ في جزيرة العرب حين نبوغهم في صنعة الكلام، ونظم الشعر، وترسيل الرسائل، ونسج الخطب، وتفوقهم في أساليبها وتنسيقها، وجولاتهم الكثيرة المتتالية في ربوع القول، وأفانين الحديث، بل كانت إجادة القول غاية فخرهم، ونهاية شرفهم.ومنتهى ما تصبو إليه نفوسهم، وكانت لهم أسواق يقيمونها يقصد إليها الناس من كل صوب، ويؤمونها من كل حدب؛ يتبارون في إنشاد الشعر وإلقاء الخطب، متفانين في ذلك إلى حد كبير، حتى ظهر ذلك الفرقان العظيم والذكر الحكيم، على يد ذلك الأمي الكريم، الذي يعلمون عنه تمام العلم أنه لم يتلق عن أستاذ، ولم يجلس إلى فيلسوف، ولم يقرأ سفرًا، ولم يكتب سطرً، فأخرس ألسنتهم، وأخمد أنفاسهم، فلم يجدوا حينئذ جوابًا!...وإذا كان القرآن قد أعجز سائر العرب مع تضافرهم وتظاهرهم، وكثرة عددهم، وفصاحة لسانهم، وقوة بيانهم، وطول زمان معارضتهم، فلأن يكون لغيرهم أشد إعجازًا وأقوى مباراة وأعظم نضالا.وهل يتطاول نحو هذا الحمى ذلك الأعجمي الألكن، أو الصبي الذي لا يكاد يبين؟ بلى إن القرآن الشريف فوق طاقة جميع المخلوقين، وأعلى بكثير مما قد تصل إليه قدرهم، ولا عجب فهو تنزيل من جبار الأرض والسماء الذي إذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون.(٨١)

المطلب الثاني: تعدد وجوه إعجاز القرآن الكريم

"القرآن الكريم آية بيّنة، معجزة من وجوه متعددة، من جهة اللفظ، ومن جهة النظم، والبلاغة في دلالة اللفظ على المعنى، ومن جهة معانيه التي أمر بها،

ومعانيه التي أخبر بها عن الله – تعالى – وأسمائه وصفاته وملائكته، وغير ذلك من الوجوه الكثيرة التي ذكر كل عالمٍ ما فتح الله عليه به منها".(٨٢) و"من المسلم به بين المسلمين عامة أن القرآن معجزة لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله لكنهم اختلفوا في بيان وجه الإعجاز فيه وذكروا أقوالا كثيرة ومذاهب مختلفة وهم في هذا بين مصيب ومخطئ، ومحسن ومسيء.

تعددت الأقوال في وجه أو أوجه الإعجاز في القرآن الكريم فمنهم من لم يذكر للإعجاز إلا وجهًا واحدًا، ومنهم من ذكر وجهين أو أكثر بل قال السيوطي: "أنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين(٨٣) ثم قال: "والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه"(٨٤) وذكر هو في كتابه "معترك الأقران في إعجاز القرآن" خمسة وثلاثين وجهًا ضمنها المجلد الأول منه.وذكر غيره وجوهًا أخرى غير ما ذكره السيوطي.والحق أن بين بعض هذه الوجوه تداخل، وليس مرادنا هنا حصرها أو ذكرها كلها".(٨٥)

وحول تعدد وجوه إعجاز القرآن يقول الباقلاني: (ت:٤٠٣هـ): والذي يشتَمِل عليه بديعُ نظمِه المتضمِّن للإعجاز وجوه: منها ما يرجع إلى الجملة؛ وذلك أنَّ نظْم القرآن على تَصَرُّف وجوهه، واختلاف مَذاهِبه، خارِجٌ عن المعهود مِن نظام جميع كلامهم، ومُباين للمألوف مِن ترتيب خِطابِهم، وله أسلوب يختصُّ به ويتميَّز في تصرُّفه عن أساليب الكلام المُعتَاد؛ وذلك أَن الطُّرُق التي يتميَّز بها الكلام البديع المنظوم تنقَسِم إلى أَعاريض الشِّعر على اختِلاف أنواعِه، ثم إلى أنواع الكلام الموزون غير المُقَفَّى، ثم إلى أَصناف الكلام المُعدَّل المُسَجَّع، ثم إلى مُعدَّل موزون غير مُسَجَّع، ثم إلى ما يُرسَل إرسالا فتُطلَب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام المعاني المعترضة على وجهٍ بديع، وترتيب لطيف، وإنْ لم يكُن معتدلا في وزنه، وذلك شَبِيهٌ بجملة الكلام الذي لا يَتعمَّل فيه ولا يتصنَّع له، وقد عَلِمنا أن القرآن خارِجٌ عن هذه الوجوه، ومُباين لهذه الطرق، ويَبقَى علينا أن نُبَيِّن أنه ليس مِن باب السجْع، ولا فيه شيء منه، وكذلك ليس مِن قَبِيل الشِّعر؛ لأن مِن الناس مَن زَعَمَ أنَّه كلام السجع، ومنهم مَن يدَّعِي فيه شِعرًا كثيرًا، فهذا إذا تأمَّله المتأمِّل تَبَيَّن–بخروجه عن أصناف كلامهم، وأساليب خطابهم– أنه خارِجٌ عن العادَة، وأنه مُعجِز، وهذه خصوصيَّة ترجع إلى جملة القرآن، وتَمَيُّز حاصِل في جميعه. ومنها أنه ليس للعرب كلامٌ مُشتمِل على هذه الفَصاحة والغَرابة، والتصرُّف البديع، والمعاني اللطيفة، والفوائد الغزيرة، والحِكَم الكثيرة، والتناسب في البلاغة، والتشابه في البراعة، على هذا الطُّولِ، وعلى هذا القَدْرِ، وإنما تُنسَب إلى حَكِيمِهم كلماتٌ

معدودة، وألفاظ قليلة، وإلى شاعِرِهم قصائد مَحصُورة يَقع فيها مِن الاختِلال، ويَعتَرِضها مِن الاختلاف، ويَشمَلُها مِن التَّعَمُّل والتكلُّف والتجوُّز والتعسُّف ما يُمكِن بيانه، وقد حصل القرآن على كثرته وطوله مُتناسِبًا في الفصَاحَة على ما وصَفه الله تعالى به فقال عزَّ من قائل:﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ (الزمر:٢٣)([٨٦])

والحقيقة إنه: "لا يستطيع أي باحث مهما أُوتي من العلم أن يحصي الوجوه والنواحي التي من أجلها عجز الناس عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن؛ لأن وجوه إعجاز القرآن إنما أحاط علمًا بها من أنزله، وليس في استطاعة إنسان أن يحيط علمًا بما أحاط الله علمًا به وغاية ما يستطيع الباحث أن يعده من وجوه إعجاز القرآن، الوجوه التي أشار إليها القرآن نفسه.".([٨٧])

المبحث الثاني

أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم

المطلب الأول: أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم "إجمالا"

تعددت أوجه إعجاز القرآن الكريم، وقد مر بنا مرارًا وتكرارًا أن بعض العلماء قد أوصلها إلى ثمانين وجهًا.بل قد زاد بعضهم على ذلك حتى قيل إنها غير محصورة بعدد. قال السيوطي (ت:٩١٠هـ) حيث يقول: "وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين، والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه"([٨٨]) يقول الطحاوي(ت: ٧٩٢هـ) عن شمولية إعجازه: "وإعجازه من جهة نظمه ومعناه لا من جهة أحدهما فقط "([٨٩]).

لذا فالمتأمل في أقوال العلماء فى تحديد وحصر وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم يجدها قد تباينت كما مر معنا. فعلى هذا فإن أوجه إعجاز القرآن الكريم ليست محصورة فيما يتعلق باللغة وأفنينها من حيث حسن نظمه وجزالة أسلوب وروعة بلاغته وقوة فصاحته –فحسب–، وإنما هي متعددة، وقد أجملها القرطبي في "تفسيره" في عشرة أوجه.

يقول القرطبي (ت:٦٧١هـ) في تفسيره: "ووجوه إعجاز القرآن عَشْرَةٌ":

الوجه الأول: النَّظْمُ الْبَدِيعُ الْمُخَالِفُ لِكُلِّ نَظْمٍ مَعْهُودٍ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَفِي غَيْرِهَا.

الوجه الثاني: الْأُسْلُوبُ الْمُخَالِفُ لِجَمِيعِ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ.

الوجه الثالث: الْجَزَالَةُ الَّتِي لَا تَصِحُّ مِنْ مَخْلُوقٍ بِحَالٍ.

الوجه الرابع: التَّصَرُّفُ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ عَلَى وَجْهٍ لَا يَسْتَقِلُّ بِهِ عَرَبِيٌّ، حَتَّى يَقَعَ مِنْهُمُ الِاتِّفَاقُ مِنْ جَمِيعِهِمْ عَلَى إِصَابَتِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ وَحَرْفٍ مَوْضِعَهُ.

الوجه الخامس: الْإِخْبَارُ عَنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ فِي أَوَّلِ الدنيا إلى وقت نزوله مِنْ

أُمِّيٍّ مَا كَانَ يَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ، وَلا يَخُطُّهُ بِيَمِينِهِ، فَأَخْبَرَ بِمَا كَانَ مِنْ قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ مَعَ أُمَمِهَا، وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ فِي دَهْرِهَا، وَذَكَرَ مَا سَأَلَهُ أَهْلُ الكتاب عنه، وتحدوه به من قصص أَهْلِ الْكَهْفِ، وَشَأْنِ مُوسَى وَالْخَضِرِ عَلَيْهِمَا السَّلامُ، وَحَالِ ذِي الْقَرْنَيْنِ، فَجَاءَهُمْ وَهُوَ أُمِّيٌّ مِنْ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، لَيْسَ لَهَا بِذَلِكَ عِلْمٌ بِمَا عَرَفُوا مِنَ الْكُتُبِ السَّالِفَةِ صِحَّتَهُ، فَتَحَقَّقُوا صِدْقَهُ.

الوجه السادس: الْوَفَاءُ بِالْوَعْدِ، المدرك بالحس فِي الْعَيَانِ، فِي كُلِّ مَا وَعَدَ اللَّهُ سبحان، وَيَنْقَسِمُ: إِلَى أَخْبَارِهِ الْمُطْلَقَةِ، كَوَعْدِهِ بِنَصْرِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ، وَإِخْرَاجِ الَّذِينَ أَخْرَجُوهُ مَنْ وَطَنِهِ.وإلى مُقَيَّدٍ بِشَرْطٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق من آية:٣)...﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن من آية: ٣)...﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق من آية:٢) وَ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ (الأنفال من آية:٦٥)، وَشِبْهُ ذَلِكَ.

الوجه السابع: الْإِخْبَارُ عَنِ الْمُغَيَّبَاتِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ الَّتِي لا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا إلا بِالْوَحْيِ، فمن ذلك:مَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنَّهُ سَيُظْهِرُ دِينَهُ عَلَى الْأَدْيَانِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى" هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ".ففَعَلَ ذَلِكَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ (النور:٥٥) وَقَالَ: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرامَ إِنْ شاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾.(الفتح من آية: ٢٧)، وَقَالَ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّها لَكُمْ﴾ (الأنفال من آية:٧) وَقَالَ: ﴿الم.غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ١-٣).فَهَذِهِ كُلُّهَا أَخْبَارٌ عَنِ الْغُيُوبِ الَّتِي لا يَقِفُ عَلَيْهَا إِلا رَبُّ الْعَالَمِينَ، أَوْ مَنْ أَوْقَفَهُ عَلَيْهَا رَبُّ الْعَالَمِينَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْقَفَ عَلَيْهَا رَسُولَهُ لِتَكُونَ دَلالَةً عَلَى صِدْقِهِ.

الوجه الثامن: مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ قِوَامُ جَمِيعِ الْأَنَامِ، فِي الْحَلالِ وَالْحَرَامِ، وَفِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ.

الوجه التاسع: الْحِكَمُ الْبَالِغَةُ الَّتِي لَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِأَنْ تَصْدُرَ فِي كَثْرَتِهَا وَشَرَفِهَا مِنْ آدَمِيٍّ.

الوجه العاشر: التَّنَاسُبُ فِي جَمِيعِ مَا تَضَمَّنَهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا مِنْ غَيْرِ اخْتِلافٍ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا".قلت: فهذه عشرة أوجه ذكرها عُلَمَاؤُنَا رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ.(٩٠)، وكلام القرطبي آنفًا ورد بصيغ مختلفة في اللفظ، ولكنها متقاربة ومتجانسة في المعنى والفحوى.

المطلب الثاني: أبرز وجوه إعجاز القرآن الكريم "تفصيلا"

وبشيء من بعض البيان في قول القرطبي بأن وجوه إعجاز القرآن عشرة، نقول:

الوجه الأول: النظم البديع المخالف لكل نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها: لأن نظمه ليس من نظم الشعر في شيء، وكذلك قال رب العزة الذي تولى نظمه: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾ (يس:٦٩). وفي صحيح مسلم أن أُنيسًا أخا أبي ذرٍّ ﷺ قال لأبي ذرٍّ: لقيت رجلاً بمكَّةَ على دِينك، يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال يقولون: شاعرٌ، كاهنٌ، ساحرٌ، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكَهَنَةِ، فما هو بقولهم، ولقد وضعتُ قوله على أقراء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر،والله إنه لصادقٌ وإنهم لكاذبون ([٩١]). وكذلك أقرَّ عُتبة بن ربيعة أنه ليس بسِحر ولا بشِعر، لما قرأ عليه رسول الله ﷺ: "حم" فُصلت،([٩٢])، فإذا اعترف عُتبة –على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة– بأنه ما سَمِعَ مثل القرآن قَطُّ، كان في هذا القول مُقِرًّا بإعجاز القرآن له، ولضربائه من المتحقِّقين بالفصاحة، والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه.

ولاشك في أن الله تحداهم بالقرآن بأبلغ عبارة وأشد أسلوب في التحدي ليحفز هِممهم ويوخز ضمائر نفوسهم ليأخذوا أُهبتهم واستعدادهم ويجلبوا على ذلك بخيلهم ورجلهم، ولاشك في توافر دواعي أدوات وأسلحة التحدي لديهم بكل ما يقتضيهم أن ينازلوا به، من فصاحة لغة، وقوة وروعة بيان، مع طلاقة لسان، فعجزوا في أن يأتوا بمثله، أو بعشر سورة من مثله، أو بسورة من مثله، ولا ريب في أنهم انتفى عنهم كل ما يَمنعهم من هذا التحدي او معارضته من كل جهة، لفظية كانت أو معنوية أو حتى زمنية؛ هذا كله مع أن القرآن نزل بلغتهم وفيهم علماء من أهل الكتاب، وقد أنزله الله مُفرَّقًا ومنجمًا، وقد أمهلهم الله بذلك ليمكنهم من تحديه، ولكنهم عجزوا، ومع هذا كله لم يحاولوا، ولم يمكنهم أن يأتوا بمثله، بل لم يستطيعوا معارضته، ولو أمكنهم المجيء بمثله، لنصروا آلهتكم، وأبطلوا حُجة من جاء بالقرآن، ففرق جمعهم، وخالف بين كلمتهم، وعاب آلهتهم وسفَّه أحلامهم، ولكَفَوا أنفسهم وعشيرتهم وأهليهم ويلات حربه وقتاله ونزاله طيلة بقائه ومكثه فيهم. ولكنهم بدلوا المعارضة والتحدي بالتكذيب والعداوة والحقد بل وبالمحاربة والمقاتلة، وهذا كله استسلام منهم واعترافٌ بعجزهم عن محاجته معارضته، وتسليم منهم بأن هذا فوق قدرة البشر، وبرهان على أنه من عند الله، شاءوا أم أبوا، ولو

تغايرت أساليب ومفاهيم العجز والاعتراف بأن القرآن كلام الله لا كلام البشر..

الوجه الثاني: الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.والتي منها الشعر والنثر والسجع، وما ورد فيها من أساليب، هذا مع ما أُتوا من فصاحة وبلاغة، وقوة تعبير، وسحر بيان، ولقد كانت أسواقهم ونواديهم ومجالسهم ميادينَ للتنافس بين فصحائهم وبلغائهم في الخطابة والحماسة والشعر وضرْب الأمثال.والقرآن ليس كذلك أبدًا. وبهذا الأسلوب المغاير لأساليبهم وأفانينهم وقوتهم في البلاغة والفصاحة أعجزهم الله في أبين مظاهر قوَّتهم، فأقحمهم وهزمهم في أعز وأقوى ميادينهم التي صالوا وجالوا فيها فصاحة وبلاغة، شعرًا ونثرًا، خطابة وحماسة، وأقنعهم بما لا سبيل لهم إلى مجادلته ومحاجته، وأقام لهم برهانًا هم أقدر الناس على فهمه وإدراك معانيه، والاستسلام لسلطانه، والانقياد والإذعان لما ورد فيه. وبذلك قد أقام الله كتابه على صدق رسالة نبيه الأمي المؤيد بالوحي من الله، والصادق في دعواه أنه رسول من عند الله.

الوجه الثالث: الجزالة التي لا تصح من مخلوق بحال، وتأمل ذلك في سورة ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (ق:١)، إلى آخرها، وقوله سبحانه: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (الزمر:٦٧)، إلى آخر السورة، وكذلك قوله سبحانه:﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ (إبراهيم:٤٢)، إلى آخر السورة. قال ابن الحصار([٩٣]): فمن علم أن الله سبحانه وتعالى هو الحق، علم أن مثل هذه الجزالة لا تصح في خطاب غيره، ولا يصح من أعظم ملوك الدنيا أن يقول: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ (غافر:١٦)، ولا أن يقول: ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاء﴾ (الرعد:١٣). قال ابن الحصار: وهذه الثلاثة من النظم، والأسلوب، والجزالة، لازمةٌ كلَّ سورة، بل هي لازمةٌ كلَّ آية، وبمجموع هذه الثلاثة يتميز مسموع كل آية وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز، ومع هذا فكل سورة تنفرد بهذه الثلاثة، من غير أن ينضاف إليها أمرٌ آخر من الوجوه العشر، فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات قِصار، وهي أقصر سورة في القرآن، وقد تضمنت الإخبارَ عن مُغَيَّبَين: أحدهما: الإخبار عن الكوثر، وعظمه، وسعته، وكثرة أوانيه، وذلك يدل على أن المصدقين به أكثر من أتباع سائر الرُّسُل. والثاني: الإخبار عن الوليد بن المغيرة، وقد كان عند نزول الآية ذا مال وولد، على ما يقتضيه قوله الحق: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَّمْدُودًا وَبَنِينَ شُهُودًا وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ (المدثر:١١-١٤)، ثم أهلكَ الله سبحانه ماله وولده، وانقطع نسله.

الوجه الرابع: التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقلُّ به عربيٌّ، حتى يقعَ

منهم الاتــفاق من جميعهم على إصابته في وضع كل كلمة وحرف موضعه.([٩٤])

الوجه الخامس: الإخبار عن الأمور التي تقدمت في أول الدنيا إلى وقت نـــزوله من أمِّيٍّ ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فأخبر بمــا كــان مــن قصص الأنبياء مع أممها، والقرون الخالية في دهرها، وذكر ما سأله أهل الكتــاب عنه، وتحدوه به من قصص أهل الكهف، وشأن موسى والخضر عليهما الــسلام، وحال ذي القرنين، فجاءهم –وهو أُميٌّ من أمَّةٍ أُمِّيَّة، ليس لها بذلك علم– بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه. قال القاضي ابن الطيب([٩٥]): ونحن نعلم ضرورة أنَّ هذا مما لا سبيلَ إليه إلا عن تعلم، وإذا كان معروفًا أنه لم يكن ملابسًا لأهل الآثار، وحَمَلَةِ الأخبار، ولا مترددًا إلى التعلم منهم، ولا كان ممن يقرأ فيجوز أن يقعَ إليه كتاب فيأخذ منه، عُلِمَ أنه لا يصِلُ إلى علمِ ذلك إلا بتأييــد مــن جهــة الوَحي.

الوجه السادس: الوفاء بالوعد، المدرك بالحسن في العِيان، في كــلِّ مــا وعــدَ الله سبحان، وينقسم إلى: أخباره المطلقة: كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخــراج الذين أخرجوه من وطنه. وإلى مقيد بشرط: كقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّــهِ فَهُــوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق:٣) ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ (التغابن:١١) ﴿وَمَن يَتَّــقِ اللَّــهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق:٢) و﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَــيْنِ﴾ (الأنفال:٦٥) وشبه ذلك.

الوجه السابع: الإخبار عن المُغَيَّبات في المستقبل التي لا يُطَّلَعُ عليها إلا بــالوحي، فمن ذلك: ما وعد الله نبيه عليه السلام أنه سَــيُظهرُ دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ﴾ (التوبة:٢٣)، الآية، ففعل ذلك، وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا أغزَى جيوشه عرَّفهم ما وعدهم الله في إظهــار دينــه، ليَثِقُوا بالنصر، وليَستَيقِنوا بالنُّجْح، وكان عمر يفعل ذلك ([٩٦]): فلم يزل الفتح يتوالى شرقًا وغربًا، برًا وبحرًا، قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُــوا مِــنكُمْ وَعَمِلُــوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(النــور:٥٥) وقال: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاء اللَّــهُ آمِنِــينَ﴾ (الفتح:٢٧) وقال: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْــدَى الطَّــائِفَتَيْنِ أَنَّهَــا لَكُــمْ﴾ (الأنفــال:٧) وقال: ﴿الــم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ (الروم: ١–٣).

فهذه كلُّها أخبار عن الغيوب التي لا يَقِفُ عليها إلا ربُّ العالمين، أو مــن أوقفه عليها ربُّ العالمين، فدل على أن الله تعالى قد أوقف عليها رســوله لتكــونَ

دلالة على صدقه.

الوجه الثامن: ما تضمنه القرآن من العلم الذي هو قِوامُ جميع الأنام، في الحلال والحرام، وفي سائر الأحكام.

الوجه التاسع: الحكم البالغة التي لم تجر العادة بأن تصدر في كثرتها وشرفها من آدميّ.

الوجه العاشر: التناسب في جميع ما تضمنه ظاهرًا وباطنًا من غير اختلاف، قال الله تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيرًا﴾ (النساء:٨٢).

قلت: فهذه عشرة أوجه ذكرها علماؤنا رحمة الله عليهم.([٩٧])([٩٨]). وقد انتفت لديهم جميع الموانع الحسية والمعنوية من أن يأتوا بمثل كلام الله، نزل القرآن بلغتهم، وحروفه وكلماته وآياته وسوره مكونة من حروف لغتهم التي تتكون منها كلماتهم وألفاظهم، وأساليب القرآن إنما وردت على نفس نظم وطريقة أساليبهم، وهم ملوك البلاغة والفصاحة والبيان، شعرًا ونثرًا، وهم أساطين فنون البلاغة وصنوفها والفصاحة كلها، وهم فرسان الحكمة والأمثال، وهم مع ذلك كله أهل حنكة ودربة وتجارب، وفيهم كهنة وسحرة ورُهبان من أهل الكتاب، وقد دعاهم الله في هذا التحدي أن يجتمعوا على ذلك ويستعينوا بمن شاءوا أن يستعينوا به؛ ليتموا عجزهم، ويُكملوا نقصهم، ويتأهبوا عدتهم لذلك، فعجزوا، وهم كما وصفهم الله سبحانه بقوله: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (التوبة:٣٢).

وعلى كل حال فإنه لا يستطيع بشر مهما أُوتي من علم وفهم وبلاغة وفصاحة أن يحصي وجوه إعجاز القرآن كلها؛ لأن وجوه إعجاز القرآن لا يمكن أن يحصيها إلا من تكلم به، وليس بمقدور بشر أن يحيط علمًا بكلام الله الذي أنزله، وليس بمقدوره كذلك أن يحيط علمُهُ بما أحاط اللهُ به علمًا. وإنما غاية إدراكه واستطاعته أن يعدد ما بينه الله وأظهره في كتابه من جوه الإعجاز البلاغية واللفظية والعلمية والتشريعية ونحو ذلك مما بينه الله في كتابه. هذا مع العلم بأن إعجاز القرآن ليس بمحصور في تقرير حقائق علمية، ما كان لأحد من الخلق علمٌ بها قط، ولا من ناحية ما قَصه الله عن الأُمم الغابرة، وصراع الرسل مع المعاندين والمكذبين لدعوتهم فحسب، ولا من ناحية فصاحة ألفاظ القرآن وبلاغة أساليبه وبراعة بيانه، ولا من ناحية اتِّساق أوجه تشريعاته وتناسق أحكامه، ولا من جهة مناسبتها لأحوال البشر، ولا من جهة كونها صالحة لكل زمان ومكان، وإنما إعجازه جاء من كل وجه وشمل كل جوانب الإعجاز ونواحيه، وكلما زاد تثور القرآن ومدارسته وتدبر آياته، كلما ظهرت وتجلَّت أوجه إعجازه، وكلما أعمل

الإنسان عقله وأنصفه نفسه من نفسه ورفع الغشاوة عن قلبه، أبصر بنور البصيرة حقيقة العجز والتسليم بأن القرآن ليس بكلام البشر، وإنما هو: ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (فصلت من آية:٤٢)، وأن الذي -نطق به لسان النبي الأمي ﷺ الذي لم يقرأ ولم يكتب ولم يتلق تعليمًا، ازداد بذلك يقينًا بأن القرآن كلام الله حقًا، وأن أوجه إعجازه فوق طاقة البشر قاطبة ولو اجتمعوا على ذلك صدقًا.

فمن أين لهذا النبي الأُمي أن يأتي بأخبار الأمم السابقة وبالأخبار اللاحقة الصادقة، ويخبر عما سيقع، ويخبر عن مراحل تكوين الجنين في بطن أُمه، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، مع ما حواه من أخبار ملكوت الله في العالم العلوي والسفلي وما تضمنه من إعجازات وحقائق علمية لم يتمكن البشر للوصول إلى بعض منها إلا بعد قرون من نزول القرآن وبوسائل حديثة لم تتوفر ولم تتواجد إلا بعد مضي قرون طويلة من نزول القرآن، كمراحل تكوين الجنين في بطن أُمه، وما في نحوها كما أسلفنا.

من أين له هذا كله وقد نشأ في بيئة أمية، وقد أخبر عن أمم هلكت وبادت عن بكرة أبيها، فأين درس تأريخهم؟، ومن أين تلقى قصصهم؟، ومن أين عرف أخبارهم، فهم قد هلكوا وبادوا وبادت معهم آثارهم، أليس في هذا دليل قاطع وبرهان ساطع على أنه مبلَّغ عن ربه الحكيم العليم، وإلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز وأمثاله قال الله -سبحانه:﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (هود:٤٩). وكما وصف الله تعالى كتابه الكريم بعظيم القدر، وعلو المنزلة، ورفعة المكانة، وكل هذه الأوصاف دالة على أن الله قد تولى حفظه من أن يزاد فيه أو ينقص منه، لأن هذه الأوصاف لا يمكن اكتمالها إلا بحفظ الله لكتابه على الدوام. كما قال ربنا في صدر سورة الزخرف: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف:١-٣)، يقول ابن كثير (ت:٧٧٤هـ): "قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ بين شرفه في الملأ الأعلى، ليشرفه ويعظمه ويطيعه أهل الأرض، فقال تعالى: (وإنه) أي: القرآن (فِي أُمِّ الْكِتَابِ) أي: اللوح المحفوظ، قاله ابن عباس، ومجاهد، (لدينا) أي: عندنا، قاله قتادة وغير، (لعلي) أي: ذو مكانة عظيمة وشرف وفضل، قاله قتادة: (حكيم) أي: محكم بريء من اللبس والزيغ.وهذا كله تنبيه على شرفه وفضله، كما قال: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لا يَمَسُّهُ إِلا الْمُطَهَّرُونَ تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (الواقعة:٧٧-٨٠).وقال: ﴿كَلا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ (عبس:١١-١٦) ".([٩٩])

قد مر معنا آنفًا بيان قول القرطبي في أوجه الإعجاز العشرة، والحقيقة أنه يصعب جدًا حصرها، لكنه ذكر أبرزها وأبينها. غير أن المعتزلة ومن سلك سبيلهم واقتفى آثارهم من بعض متقدمي الأشاعرة وغيرهم أيضًا قد أضافوا وجهًا آخر للإعجاز، ظنوه من الإعجاز وما هو من الإعجاز في شيء، وإنهم بقولهم هذا قد زعموا أن إعجاز القرآن أمرًا خارجًا عنه وليس إعجازًا ذاتيًا فيه، ولا شك أبدًا في بطلان قولهم جملة وتفصيلا، ولقد ناقشه أهل العلم وفندوه وردوه ودحضوا شبهته ونسفوه بمنجنيق الأدلة ألا وهو "القول بالصَّرْفة". وقد امتن الله على العبد الضعيف الفقير إلى عفو ربه –جامع هذا البحث– فسطر يراعُه بحثًا عرض فيه نشأة القول بالصَّرْفَة، ثم عرض أقوال القائلين بها من المعتزلة وغيرهم، ثم فندها بواضح الأدلة وقواطع البراهين مستشهدًا بأقوال أهل العلم منتصرًا لمعتقد أهل السنة ببطلان القول بالصَّرْفَة، وأن إعجاز القرآني إعجاز ذاتي وقد أسماه بـ"جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَولِ بِالصَّرْفَةِ"، وهو بحث محكم، وهو من منشورات: "مَرْكَزِ تَأْصِيل عُلُومِ التَنْزِيلِ لِلبُحُوثِ العِلْمِيةِ وَالدِّرَاسَاتِ القُرْآنِيةِ.(١٠٠)

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خاتمة البحث، وبيان أهم النتائج:

أ- خاتمة البحث"

في ختام هذا البحث يسأل الباحثُ ربَه الكريم أن يكون قد وفق لإتمامه متبعًا فيه سبيل المؤمنين، على وجه يحب ويرضاه رب العالمين، راجيًا أن يجعله ذخرًا له يوم الدين، يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

ب- بيان أهم النتائج:

توصلت تلك الدراسة المتواضعة لنتائج هامة، لعل من أبرزها ما يلي:

أولا: إنما احتيج إلى التحدي بالقرآن لإثبات إعجازه، ولإقامة الحجة ووضوح المحجة، وإظهار وجه البرهان على صدق الرسول وصحة الرسالة.

ثانيًا: خلصت الدراسة إلى إن مفهوم وتعريف كل من القرآن، والمعجزة عند أهل هي السنة مغاير لتعريفهما عند الأشاعرة والمتكلمين.

ثالثًا: أن التحدي وقع للإنس والجنِّ جميعًا.

رابعًا: إن عجز أهل الفصحاء عن تحدي القرآن مع توفر كامل دواعي التحدي يدل على أن عجز غيرهم أولى

خامسًا: تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به،

ذلك لأن القول بأن التحدي وقع بالقرآن أولا، ثم بعشر سور منه، ثم بسورة منه يفتقر لبينة وبرهان، وهو مغاير لترتيب النزول كذلك.

سادسًا: لمَّا ثبت أن القرآن إعجازه ذاتي في نظمه وفصاحته وبلاغته وليس لشيء خارج عنه، لزم من ذلك إبطال القول بالصَّرْفَةِ

سابعًا: التحدي في القرآن الكريم ليس خاصًّا بأمة دون أمة أو عصر دون عصر بل هو باق ما بقي القرآن، وهو قائم منذ نزول القرآن وممتد لأخر الزمان حتى يُرفعَ القرآنُ فلا يبقى منه حرف في السطور، ولا كلمة في الصدور.

هوامش البحث:

١- يُنظر: مقدمة الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي: (١/١٥-١٦). بتصرف يسير. الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى:٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م عدد الأجزاء: ٤.

٢- شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العزّ: (ص: ٧٩). شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة: الطبعة المصرية الأولى، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، عدد الأجزاء:١.

٣- شُعَب الإيمان للبيهقي (١/٣٢٦).

٤- يُنظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العزّ: (٣٣٣).

٥-عبارة "الأديان السماوية" يستعاض عنها بكلمة الشرائع السماوية، وذلك لأن الدين واحد لا يتعدد كما قال ربنا: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..) (آل عمران: من آية:١٩). وقال الله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ موسى وعيسى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة:١٣٦)..ووصف الله إبراهيم بأنه (كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).(آل عمران:٦٧). ولعلها سبق قلم من الإمام الشاطبي . الباحث.

٦- الموافقات للشاطبي(٣/٣٤٦). ويُنظر: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، الشُّفْعَةُ بَينَ الجَمْعِ العُثْمَانِيِّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، بحث مجاز للنشر من مجلة: البحوث والدراسات الشَّرْعِيةِ: (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) برقم: (١/١٤٣١٧٩)، بتاريخ: ١٤٤٣/٣/٢هـ.عدد المجلدات٢.

٧- سيأتي معنا في طيات البحث تفنيد زعم ترتيب مستويات التحدي بالقرآن الكريم بحسب الكم المتحدَّى به. الباحث.

٨- ومما ورد في رفع القرآن آخر الزمان ما رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٨٦٩٨) عن ابن مسعود ﷺ قال":لَيُنْتَزَعَنَّ هذا القرآن من بين أظهركم، قيل له: يا أبا عبد الرحمن: كيف يُنتزع وقد أثبتناه في قلوبنا وأثبتناه في مصاحفنا ؟ قال: يُسْرَى عليه في ليلة فلا يبقى في قلب عبد ولا مصحف منه شيء، ويصبح الناس كالبهائم " ثم قرأ قول الله تعالى: (ولئن شئنا لَنَذْهَبَنَّ بالذي أوحينا إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً) (الإسراء: ٨٦). قال الحافظ الفتح

(١٦/١٣): سنده صحيح ولكنه موقوف. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٩/٧): رجاله رجال الصحيح، غير شداد بن معقل وهو ثقة. وصححه الألباني.وهذا الأثر وإن كان موقوفاً غير إن له حكم الرفع، لأن مثله لا يُقال فيه بالرأي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (١٩٨/٣): "فإنه يسرى به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف".

[٩]- ابن منظور- لسان العرب، مادة حدا- (١٦٨). لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥.

[١٠]- (توفي ٣٩ ق. هـ/٥٨٤م).

[١١]- شرح المعلقات السبع- الزوزني- ص: ١٧٧- نقلاً عن: التحدي بالقرآن الكريم- د. محسن الخالدي- ص:٣

[١٢]- المرجع السابق- ص: ٣.

[١٣]- تفسير ابن كثير: (٤٥/٢). تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ.

[١٤]- إعجاز القرآن، للباقلاني: (ص: ١٩٠). إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر: دار المعارف- مصر الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء: ١

[١٥]- المرجع السابق: (ص: ٤٧).

[١٦]- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان: (٣٩/١). مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

[١٧]- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/٧٣٨. معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.

[١٨]- فتح القدير، للشوكاني ٣٥٦/٤. تفسير الشوكاني: فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ.

[١٩]- مختار الصحاح، ص/٤١٣. مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.

[٢٠]- يُنظر: صفوة التفاسير، للصابوني ٣٣٩/١.

[٢١]- فتح القدير، للشوكاني ٤٦٠/٣.

[٢٢]- يُنظر: لسان العرب لابن منظور ٩٧/٦، ٩٨، والقاموس المحيط، للفيروز آبادي ١٨٠/٢، ٨١، ومختار الصحاح للرازي ص/٤١٣،٤١٤، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص/٧٣٨، ٧٣٩.

[٢٣]- النبوات: (٧٧٨,٨٦٤,٩٨٤/٢). النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.

[٢٤]- المرجع السابق: (٨٢٨،٨٦٧/٢).

[٢٥]- يُنظر: الرسل والرسالات لعمر الأشقر: (١٢١). الرسل والرسالات المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ- ١٩٨٩ م عدد الأجزاء: ١.

[٢٦]- مجموع الفتاوى/المجلد الحادي عشر/قاعدة شريفة في المعجزات والكرامات. مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: ٧٢٥هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

[٢٧]- النبوات: (٦٠٠/١).

[٢٨]- إعجاز القرآن الكريم، ص/٢١.

[٢٩]- مناهل العرفان ٧٢/١.

[٣٠]- سلسلة لقاء الباب المفتوح- المسجلة- شريط ٠٨٤- الوجه الثاني.

[٣١]- النبوات (١٦٣/١).

[٣٢]- مناهل العرفان ٣٣١/٢.

[٣٣]- فكرة إعجاز القرآن، ص/٩.

[٣٤]- مباحث في علوم القرآن، ص/٢٦٥. مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.

[٣٥]- تفسير ابن سعدي: (ص:٤٦٦). تفسير ابن سعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ١.

[٣٦]- تفسير البغوي: (١٢٧/٥).تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨.

[٣٧]- تفسير أبي السعود: (١٩٤/٥). تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى:٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

[٣٨]- تفسير ابن سعدي: (ص:٤٦٦).

[٣٩]- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: (ص: ١٦٦). بتصرف يسير.

[٤٠]- البرهان للزركشي: (١٠٩/٢).البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى:٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة: الأولى، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان- وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء:٤.

[٤١]- شاكر، محمود، ذكر ذلك في تقديمه لكتاب (الظاهرة القرآنية، لمالك بن نبي،(ص: ٢٨)، دار الفكر- دمشق، (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م).

[٤٢]- السيوطي، معترك الاقران في إعجاز القرآن: (ص: ٣).معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٣.

[٤٣]- ابن عطية، المحرر الوجيز: (٧١/١) مرجع سابق، ونقله الزركشي في البرهان: (١٠٢/٢).

[٤٤]- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية: (ص: ٢٠٢).

[٤٥]- العرب أهل فصاحة وبيان، سامح محمد البلاح، الألوكة: تاريخ الإضافة: ٢٠١٥/٢/٥ ميلادي- ١٤٣٦/٤/١٦ هجري.

[٤٦]- فتح القدير: (٥٥٨/١).

[٤٧]- الجاحظ الكناني هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصر)١٥٩هـ-٢٥٥هـ(أديب عربي كان من كبار أئمة الأدب في العصر العباسي، ولد في البصرة وتوفي فيها. مختلف في أصله فمنهم من قال بأنه عربي من قبيلة كنانة ومنهم من قال بأن أصله يعود للزنج وأن جده كان مولى لرجل من بني كنانة وكان ذلك بسبب بشرته السمراء الغامقة. نقلًا عن الموسوعة الحرة" ويكيبيديا". قال الذهبي في السير (٥٢٧/١١) عن الجاحظ: "كان ماجنًا قليل الدين، له نوادر"، وقال (٥٢٨/١١): "يظهر من شمائل الجاحظ أنه يختلق"، وقال في الميزان (٢٤٧/٣): "وكان من أئمّة البدع". وقال ابن حزم في "الفصل" (١٩٥/٤): "كان أحد المجّان، ومن غلب عليه الهزل، وأحد الضلاّل المضلّين، فإنّا ما رأينا في كتبه تعمّد كذبة يوردها مثبتاً لها، وإن كان كثير الإيراد لكذب غيره. كذا في لسان الميزان لابن حجر: (٣٥٥/٤). وقد أورد البغدادي في "الفَرق بين الفِرَق" (١٧٥-١٧٨) والسكسكي في "البرهان في عقائد أهل الأديان" (٣٠-٣١) كثيرًا من البدع العقديّة التي كان يعتقدها الجاحظ وأودعها في كتبه. وللاستزادة يُنظر: تعليق الشيخ مشهور حسن آل سلمان على كتاب الشيخ محمد راغب الطبّاخ "ذو القرنين وسد الصين" (ص١٢١/ حاشية ٥/ط. غراس) الجاحظ: يُعَدُّ من المعتزلة، وله جماعة حامت حوله سُمِّيَت بـ "الجاحظيّة.

[٤٨]- يُنظر: الإتقان: (٢٤٠/٢).

[٤٩]- إعراب القرآن للنحاس: (٢٨٣/٢).

[٥٠]- وهذا لا يفهم منه أنه يعني بذلك أن القرآن مخلوق، فابن كثير من أئمة أهل السنة الذين يعتقدون أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود، وأنه سبحانه تكلم به بحرف وصوت. الباحث.

[٥١]- تفسير ابن كثير (١٩٩/١-٢٠٠).

[٥٢]- مباحث في علوم القرآن- مناع القطان- ص ٢٧٤.

[٥٣]- هذه العبارات لم يدرج علها السلف، والصواب أن يقال القرآن كلام الله وكفى، لأن هذه العبارات وأمثالها فيها نوع إقصاء لمفهوم القرآن عند أهل السنة.

مفهوم القرآن عند أهل السنة: وأهل السنة يقولون: (إن القرآن كلام الله حقيقة- ألفاظه

وحروفه ومعانيه- منه بدأ، وإليه يعود، وهو منزل غير مخلوق، وإن الله تكلم بـه بحـرف وصوت، وسمعه جبريل من الرب تبارك وتعالى، ونزل به جبريل على النبيء ﷺ فبلغه إياه كما سمعه من الله). فقولهم: (إن القرآن كلام الله حقيقة- ألفاظه وحروفه ومعانيه-)، هذا فيه رد على الأشاعرة والكلابية الذين يقولون هو عبارة أو حكاية عن كلام الله النفسي. قال ابن قدامة المقدسي (ت: ٦٨٢هـ): "هاتوا أخبرونا من قال قبلكم: إن هذا القرآن عبارة وحكاية، وأن حقيقة القرآن معنى قائم في النفس.. أخبرونا هل وجدتم هذه الضلالة، وقبيح المقالة، عند أحد من المتقدمين سوى قائدكم " (يعني أبا الحسن الأشعري) للاستزادة يُنظر: "رسالة في القرآن وكلام الله" (ص: ٥٢). وقال الإمام أبو نصر السجزي(ت: ٤٤٤هـ): " ينبغي أن ينظر في كتب من درج، وأخبار السلف: هل قال أحد منهم: إن الحروف المتسقة التي يتأتى سماعها وفهمها، ليست بكلام الله سبحانه على الحقيقة ؟ وأن الكلام غيرها ومخالف لها، وأنه معنى لا يدرى ما هو، غير محتمل شرحًا وتفسيرًا ؟ فإن جاء ذلك عن أحد من الأوائل والسلف، وأهل النحل قبل مخالفينا الكلابية والأشعرية عذروا في موافقتهم إياه. وإن لم يرد ذلك عمن سلف من القرون والأمم، ولا نطق به كتاب منزل، ولا فاه به نبي مرسل، ولا اقتضاه عقل عُلم جهل مخالفينا وإبداعهم، ولن يقدر أحد في علمي على إيراد ذلك عن الأوائل، ولا اتخاذه إياه دينا، في أثر ولا عقل" . للاستزادة يُنظر: "رسالة السجزي إلى أهل زبيد " (ص: ٢١٥). وقولهم: (منه بدأ، وإليه يعود) "منه بدأ " أي: إن الله تعالى تكلم به، فظهوره وابتداؤه من الله تعالى.ومعنى قولهم: " وإليه يعود ": أنه يرفع من الصدور والمصاحف في آخر الزمان، فلا يبقى في الصدور منه آية ولا في المصاحف كما جاء ذلك في عدة آثار.قال الإمام الطحاوي (ت: ٣٢١هـ):" وإنّ القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر وقد ذَمَّه الله وعَابَهُ وأوعده بسقر حيث قال تعالى: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) (المدثر:٢٦)، فلما أَوْعَدَ بسَقَر لمن قال" (إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ) (المدثر:٢٥) عَلِمْنَا وأَيْقَنَّا أنه قولَ خالق البَشَر ولا يُشْبِهُ قول البشر". "شرح العقيدة الطحاوية"، لابن أبي العزّ: (ص: ٧٩). ويقولون: (منزل غير مخلوق)، وهذا فيه رد على المعتزلة الذين يقولون بخلق القرآن. وأهل السنة يقولون: (إن الله تكلم به بحرف وصوت)، وهذا فيه رد على من نفى الحرف والصوت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية (ت: ٧٢٨هـ): "وليس في الأئمة والسلف من قال: إن الله لا يتكلم بصوت، بل قد ثبت عن غير واحد من السلف والأئمة: أن الله يتكلم بصوت، وجاء ذلك في آثار مشهورة عن السلف والأئمة، وكان السلف والأئمة يذكرون الآثار التي فيها ذكر تكلم الله بالصوت ولا ينكرها منهم أحد، حتى قال عبد الله بن أحمد: قلت لأبي: إن قوما يقولون: إن الله لا يتكلم بصوت ؟ فقال: يا بني هؤلاء جهمية إنما يدورون على التعطيل. ثم ذكر بعض الآثار المروية في ذلك. وكلام " البخاري " في " كتاب خلق الأفعال " صريح في أن الله يتكلم بصوت، وفرّق بين صوت الله وأصوات العباد، وذكر في ذلك عدة أحاديث عن النبي ﷺ، وكذلك ترجم في كتاب الصحيح باب في قوله تعالى: (حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا الْحَقَّ ۖ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ) (سبأ: من آية: ٢٣) وذكر ما دل على أن الله يتكلم بصوت "." مجموع الفتاوى " (٥٢٧/٦). وقال الإمام أبو نصر السجزي(ت: ٤٤٤هـ): "فقول خصومنا: إن أحدًا لم يقل إن القرآن كلام الله حرف وصوت؛ كذب وزور، بل السلف كلهم كانوا قائلين بذلك، وإذا أوردنا فيه المسند، وقول الصحابة من غير مخالفة وقعت بينهم في ذلك: صار

كالإجماع. ولم أجد أحدًا يعتد به، ولا يعرف ببدعة: من نفر من ذكر الصوت إلا البـوبطي، إن صح عنه ذلك. فإن عند أهل مصر رسالة يزعمون أنها عنه، وفيها: لا أقول إن كلام الله حرف وصوت، ولا أقول إنه ليس بحرف وصوت. وهذا إن صح عنه فليس فيه أكثـر مـن إعلامنا أنه لم يتبين هذه المسألة، ولم يقف على الصواب فيها.وأما غيره ممن نفى الحـرف والصوت: فمبتدع ظاهر البدعة، أو مقروف بها مهجور على ما جرى منـه. والله الموفـق للصواب " انتهى من " رسالته إلى أهل زبيد ": (ص: ٢٦٠). ويقولون: (وسمعه جبريل مـن الرب تبارك وتعالى) وهذا فيه رد على المعتزلة وغيره الذين يقولون إن جبريل أخذ القـرآن من اللوح المحفوظ، أردوا بذلك أن يعطلوا صفات الكلام عن الله تعلى. ويقولون: (نزل بـه جبريل على النبيَ ﷺ فبلغه إياه كما سمعه مـن الله)، وهـذا فيـه رد علـى المستـشرقين والنصارى وغيرهم ممن قالو أنه تلقاه عن "بحيرة الراهب، أو عداس، أو غيرهما ".

[٥٤] الإسلام يتحدى- وحيد الدين خان: (ص: ١٢٣).

[٥٥]- هذا الكلام محل نظر، وهو خلاف ما أثبتته تلك الدراسة، والتي تناولت التفصيل في التـدرج في التحدي بشيء من الإيضاح والبيان. الباحث

[٥٦]- النبأ العظيم، للدكتور/محمد عبد الله دراز: (١١٢ – ١١٤). النبأ العظيم نظرات جديدة فـي القرآن الكريم المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) اعتنـى بـه: أحمـد مصطفى فضلية قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م- عدد الأجزاء: ١.

[٥٧]- د. محمد عبد الجابري: مدخل إلى القرآن الكريم، ط١ مركز دراسـات الوحـدة العربيـة، بيروت ٢٠٠٦م: (ص: ١٨٥).

[٥٨]- أصول التفسير للسيوطي: (د. ص).

[٥٩]- التحدي بالقرآن الكريم- د. محسن الخالدي- (ص: ١٥). بتصرف.

[٦٠]- د. حلمي محمد القاعود: مدخل إلى البلاغة القرآنيـة، ط١ دار النـشر الـدولي، الريـاض ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م. ص ١٦٧.

[٦١]- معروف الرصافي: الشخصية المحمدية، أو حل اللغز المقدس، ط١ منشورات الجمل، ألمانيا ٢٠٠٢م، (ص:٦٠٧-٦٠٨).

[٦٢]- السيوطي (جلال الدين): الإتقان في علوم القرآن، عالم الكتب، بيروت، بـدون تـاريخ ج١ ص١٥

[٦٣]- الزركشي (بدر الدين): البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القـاهرة ١٩٥٧م

[٦٤]- بلاشير: ترجمة معاني القرآن، صدر على ثلاثة أجزاء ١٩٤٧، ١٩٤٩، ١٩٥٠ م.

[٦٥]- إعجاز القرآن الكريم، الدكتور/عيد بلبع، موقع سياقات، بتاريخ: ٢ أبريل م.

[٦٦]- يُنظر: البرهان: الزركشي ج١ ص١٩٣، والإتقان: السيوطي ج١ ص٢٧.

[٦٧]- دراسات في علوم القرآن- فهد الرومي: (٢٧٠/١). دراسات فـي علـوم القـرآن الكـريم المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ١.

[٦٨]- إعجاز القرآن: الباقلاني ص٢٦١.

[٦٩]- دراسات في علوم القرآن- فهد الرومي: (٢٧٢/١). بتصرف يسير

[٧٠]- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (ص: ٣٣٩). الجواب

الصحيح لمن بدل دين المسيح المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن- عبد العزيز بن إبراهيم- حمدان بن محمد الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٦.

[٧١]- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٤٢٢/٥).

[٧٢]- تنبيه من الأهمية بمكان: إلى أن شيخ الإسلام لا يقول بالصَّرْفَةِ، وبل هو ممن يقول ببطلانها، وكلامه هنا بمثابة حكاية الحال، والله أعلم. ينظر: عَرَفة بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، "جَنَى الخُرْفَةِ في إبطال القول بالصَّرْفَةِ، بحث منشور بمجلة محكمة، مجلة البحوث الإسلامية العدد الستون، صفر١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ": (٤٩). الباحث.

[٧٣]- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية: (٤٢٢/٥-٤٣٦).

[٧٤]-عبارة "الأديان السماوية" يستعاض عنها بكلمة الشرائع السماوية، وذلك لأن الدين واحد لا يتعدد كما قال ربنا: (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ..) (آل عمران: من آية:١٩). وقال الله تعالى: (قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ موسى وعيسى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ من رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ) (البقرة:١٣٦) ..ووصف الله إبراهيم بأنه (كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ).(آل عمران:٦٧). الباحث.

[٧٥]- دراسات في علوم القرآن- فهد الرومي: (٢٧٢/١).

[٧٦]- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: (٤٣٤/٥-٤٣٦).

[٧٧]- درء تعارض العقل والنقل: (١/٢٧).

[٧٨]- تفسير الطبري: (٤٢٥/١٨). تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤.

[٧٩]- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي: ٤١٦/١.

[٨٠]-رواه البخاري: (٧٢٧٤).

[٨١]- الشيخ/عبد الفتاح القاضي، مجلة كنوز الفرقان؛ العدد: (٤)؛ السنة: (الأولى).

[٨٢]- يُنظر: الجواب الصحيح ٧٤/٤، ٧٥، وأعلام النبوة للماوردي ص٥٣-٧٠، والبداية والنهاية ٥٤/٦، ٦٥، والبرهان في علوم القرآن للزركشي ٩٠/٢-١٢٤، ومناهل العرفان للزرقاني ٢٢٧/٢-٣٠٨.

[٨٣]- معترك الأقران في إعجاز القرآن: السيوطي ج١ ص٥..

[٨٤]- المرجع السابق.

[٨٥]- دراسات في علوم القرآن المؤلف: فهد الرومي: (٢٣٧/١).

[٨٦]- إعجاز القرآن؛ الباقلاني، ص: ٣٥.

[٨٧]- مجلة كنوز الفرقان؛ العددان: (الخامس والسادس)؛ السنة: (الرابعة)، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧١هـ.

[٨٨]- السيوطي، معترك الاقران في إعجاز القرآن :ص:٣).

[٨٩]- ابن أبي العز، شرح العقيدة الطحاوية (:ص:٢٠٢(.

[٩٠]- يُنظر: الجامع لأحكام القرآن (١١٦/١-١١٩) ط: الرسالة.

[٩١]- صحيح مسلم (٢٤٧٣) وعنده: فما يلتئم، وهو في مسند أحمد (٢١٥٢٥).
[٩٢]- أخرج قصة عتبة بن ربيعة ابن إسحاق فيما ذكر ابن هشام (٢٩٣/١-٢٩٤) ومن طريقه البيهقي في دلائل النبوة (٢٠٤/٢-٢٠٥). حديث رقم: (٥٣٦)، الاعتقاد إلى سبيل الرشاد للبيهقي: حديث رقم: (٢٦٢). والأثر: إسناده ضعيف لأن به موضع إرسال، وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردي وهو ضعيف الحديث.
[٩٣]- عبدالرحمن بن أحمد بن سعيد، أبو المطرِّف، القرطبي المالكي، تفقه بأبي عمر الإشبيلي، توفي سنة ٤٢٢هـ، سيرة أعلام النبلاء (٤٧٣/١٧).
[٩٤]- لا يفهم من هذا أبدًا أن القرطبي ممن يقول بالصرفة، بل هو ممن يقول ببطلانها. للاستزادة يُنظر: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَولِ بِالصَّرْفَةِ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية (مجلة محكمة)- إصدار علمي جامع متخصص محكم- العدد الستون صفر ١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ.
[٩٥]- في إعجاز القرآن، ص: (٥١).
[٩٦]- من قوله: فمن ذلك ما وعد الله نبيه، إلى هذا الموضع،من إعجاز القرآن للباقلاني، ص(٤٨).
[٩٧]- الجامع لأحكام القرآن: (١١٦/١-١١٩) ط: الرسالة
[٩٨]-يُنظر: موقع روائع المتون العلمية، د. عبد الله بن سفيان الحكمي. بتصرف
[٩٩]- تفسير ابن كثير: (٢١٨/٧).
[١٠٠]- للاستزادة يُنظر: عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَولِ بِالصَّرْفَةِ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية (مجلة محكمة)- إصدار علمي جامع متخصص محكم- العدد الستون صفر ١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٥/٢/١٤٤٢هـ.

فهرس المراجع:

١- الإتقان في علوم القرآن المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، عدد الأجزاء: ٤.
٢- إعجاز القرآن للباقلاني المؤلف: أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى:٤٠٣هـ) المحقق: السيد أحمد صقر الناشر:دار المعارف-مصر الطبعة:الخامسة، ١٩٩٧م عدد الأجزاء:١
٣- البرهان في علوم القرآن المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ) المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ- ١٩٥٧ م الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه (ثم صوَّرته دار المعرفة، بيروت، لبنان- وبنفس ترقيم الصفحات) عدد الأجزاء: ٤.
٤- تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) المحقق: أحمد محمد شاكر الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ- ٢٠٠٠ م عدد الأجزاء: ٢٤.
٥- تفسير ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون- بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٩هـ.

٦- تفسير البغوي: معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٧ م عدد الأجزاء: ٨.
٧- تفسير أبي السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم المؤلف: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٨- تفسير الشوكاني: فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق، بيروت الطبعة: الأولى- ١٤١٤ هـ.
٩- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: علي بن حسن- عبد العزيز بن إبراهيم- حمدان بن محمد الناشر: دار العاصمة، السعودية الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م عدد الأجزاء: ٦.
١٠- دراسات في علوم القرآن الكريم المؤلف: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي الناشر: حقوق الطبع محفوظة للمؤلف الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م عدد الأجزاء: ١.
١١- الرسل والرسالات المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي الناشر: مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة: الرابعة، ١٤١٠ هـ- ١٩٨٩ م عدد الأجزاء: ١.
١٢- شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: جماعة من العلماء، تخريج: ناصر الدين الألباني الناشر: دار السلام للطباعة والنشر التوزيع والترجمة (عن مطبوعة المكتب الإسلامي) الطبعة المصرية الأولى،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء:١.
١٣- عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، الشُّفْعَةُ بَيْنَ الجَمْعِ العُثْمَانِيِّ وَالأَحْرُفِ السَّبْعَةِ، بحث مجاز للنشر من مجلة: البحوث والدراسات الشَّرْعِيةِ: (إصدار علمي متخصص جامعي محكم) برقم: (١٤٣١٧٩/١)، بتاريخ: ١٤٤٣/٣/٢هـ.عدد المجلدات٢.
١٤- عَرَفَةُ بْنُ طَنْطَاوِيٍّ، جَنَى الخُرْفَةِ فِي إِبْطَالِ القَولِ بِالصَّرْفَةِ، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية (مجلة محكمة)- إصدار علمي جامع متخصص محكم- العدد الستون صفر ١٤٤٢هـ، بتاريخ:١٤٤٢/٢/١٥هـ.
١٥- لسان العرب المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ) الناشر: دار صادر- بيروت الطبعة: الثالثة- ١٤١٤ هـ عدد الأجزاء: ١٥.
١٦- معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمَّى (إعجاز القرآن ومعترك الأقران) المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ) دار النشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ- ١٩٨٨ م عدد الأجزاء: ٣.
١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ) الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة عدد الأجزاء: ٢.

١٨- مباحث في علوم القرآن المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ) الناشر: مكتبة المعارف الطبعة:الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ١.
١٩- معجم مقاييس اللغة المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر عام النشر: ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م. عدد الأجزاء: ٦.
٢٠- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، المحقق: يوسف الشيخ محمد -الناشر: المكتبة العصرية- الدار النموذجية، بيروت – صيدا، الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ١.
٢١- مجلة كنوز الفرقان؛ العددان: (الخامس والسادس)؛ السنة: (الرابعة)، جمادى الأولى والآخرة ١٣٧١هـ.
٢٢- النبوات المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد العزيز بن صالح الطويان الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م عدد الأجزاء: ٢.
٢٣- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ) اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية قدم له: أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع الطبعة: طبعة مزيدة ومحققة ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م- عدد الأجزاء: ١.